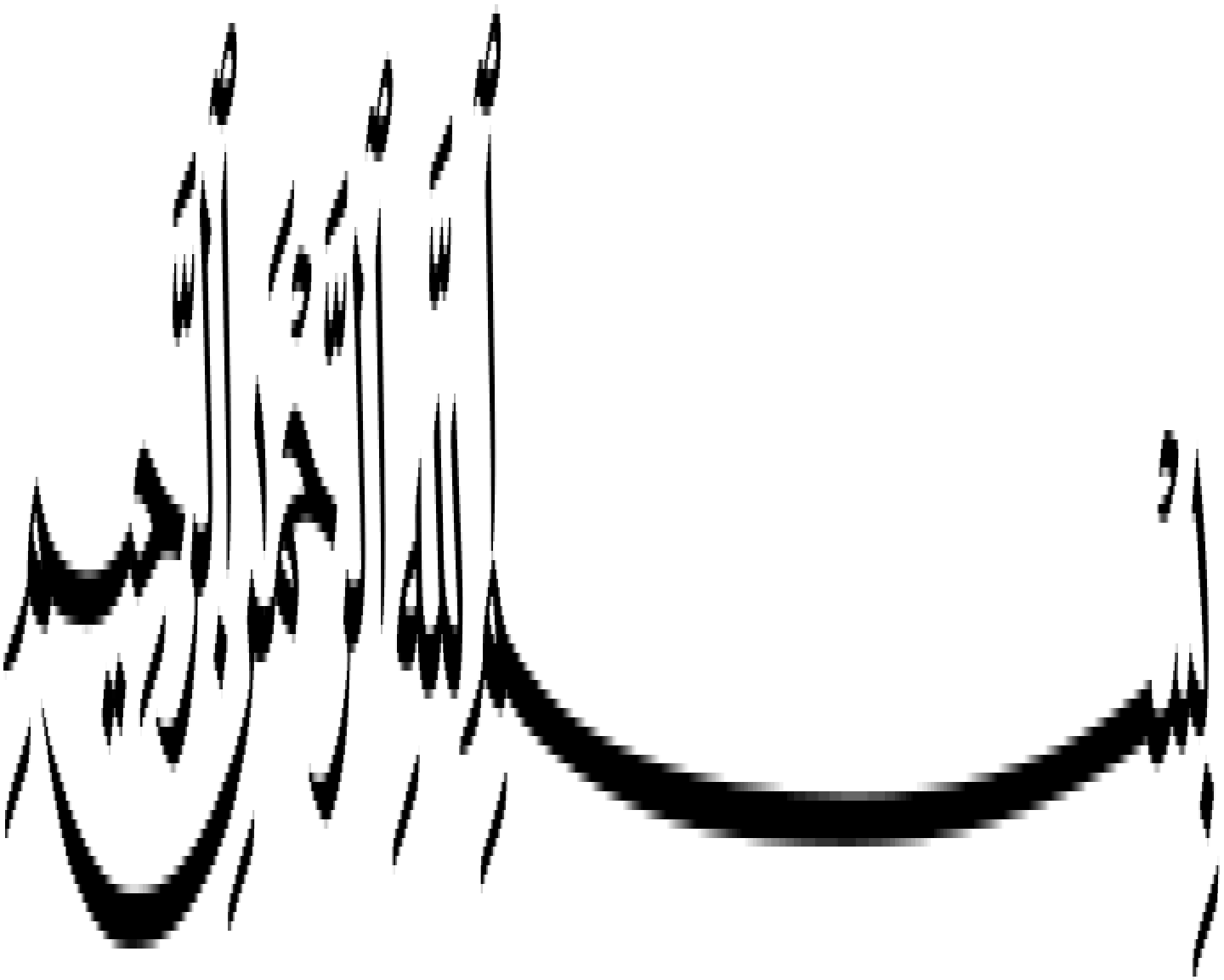

مقـــــدّمـــــــة

مقدمـــة

الحمد لله أول كل شيء وآخره، ميزنا بالإسلام فلا نبتغ دينا غيره، وأعزنا به ورفعنا، ومن تركه شانه كفره . منهجه الحق ونهجه اليسر، ومبدؤه التوسط في الأمور فلا إفراط ولا تفريط، فأقره في قلوبنا شعورا وفي أفواهنا حديثا طيبا. وصل اللهم صلاة تامة على من بلغ رسالة هذا الدين، و سار على منهج الوسطية وبه اقتدينا فجعلنا بها خير أمة بين الأمم، عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد :

إنّ من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية شعارا مميزا لهذه الأمة التي هي آخر الأمم. ولهذه الرسالة التي ختم بها الرسالات الإلهية. وبعث لها خاتم أنبيائه رسولا للناس جميعا، ورحمة للعالمين، فالخير كل الخير في المنهج الوسط؛ الذي يتجنب الإفراط والتفريط والغلو والتقصير. وهو ما دعا إليه الخطاب القرآني في مواضع لا تحصى. فنجده يرسم لنا منهج **الوسطية** في جميع جوانبه عقيدة وعبادة، شرعا وخلقا ... وجاء ذلك في القرآن الكريم في أساليب عدة، **تصريحا وإيماءً** . واقتناعا مني بأهمية هذا المنهج الوسطي طرقت أبوابه في بحثي هذا الذي عنونته " بالألفاظ الدالة على الوسطية في الخطاب القرآني ". والذي تحكمت في سيرورته إشكالية كانت نقطة انطلاقي والمحرك الأساسي لدولاب البحث. هته الأخيرة التّي تدور في حقل الآيات التي تحمل ألفاظا تدل على الوسطية، فمن خلال استخراج تلك الآيات، مستندة في ذلك على أقوال المفسرين والبحوث السابقة. لأصل في الأخير إلى الإجابة عن سؤالي المركزي المتمثل في: ما هي الألفاظ الدالة على الوسطية التي وردت في الخطاب القرآني؟، والذي تفرعت عنه مجموعة من التساؤلات من شأنها هي الأخرى أن تساهم في دفع عجلة البحث، تمثلت هته التساؤلات في : ما مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح، وفي استعمال الخطاب القرآني؟، كيف لنا أن نتعرف على هذه **الوسطية** دون العزوف عن معناها الحقيقي ؟ هل تقتصر **الوسطية** على المواضع الخمسة التي ذكرها صريحة؟، أم هناك ألفاظ أخرى من شأنها أن **تلمح** لها ؟، وأين **تتجلى** هذه الوسطية ؟.

تنوعت أسباب اختيار هذا الموضوع ما بين ذاتية وموضوعية، أما الذاتية فارتبطت بطبيعة اختياراتي الذّاتية وتوجّهاتي، والسّبب الآخر تمثل في محاولتي إثراء المكتبة المعرفية ولو بالجزء اليسير في هذا الموضوع بالذات.

أمَّا الموضوعية : منها ما يتعلق باللفظة المركزية المتمثلة في **الوسطية** التي تعدّ منهجا خيرا يدعونا إليه الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات في كتابه المبين، كما ينهانا عن العزوف عنها إمَّا إفراطا أو تفريطا، ما يسبّب الانحرافات الفكرية والسلوكية والتّي تكون أشدّ خطرا وأعظم فتنة عندما تكون باسم الإسلام، والإسلام منها براء. وممّا لا شك فيه أن لمواجهة هذه الفتن لا بد من التزام منهج **الوسطية**. فكان من الضروري معرفة **الوسطية** وأشكالها.

وغاية هذا البحث المتواضع هو: تسليط الضّوء على تلك الألفاظ الدالة على الوسطية التّي جاء ذكرها في الخطاب القرآني صريحة كانت أم ضمنية. وقد اتّبعت المنهج الوصفي التحليلي في إنجاز بحثي هذا الذّي، اقتضت منّي طبيعته السّير وفق خطة قسمت فيها بحثي إلى مقدمة يليها مدخل وفصلان. أمّا المدخل خصصته للخطاب القرآني، تناولت فيه عناصر ثلاثة : مفهوم الخطاب القرآني، ميزاته وأوجهه، والفصل الأوّل أوسمته بالوسطية وأسس فهمها، قسمته إلى ثلاث مباحث عالجت فيها مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح، وفي استعمال الخطاب القرآني، وفي آخر مبحث تناولت أسس فهم الوسطية. أمّا الفصل الثّاني عنونته بملامح الوسطية ومظاهرها قسمته هو الآخر إلى ثلاث مباحث، في المبحث الأول تناولت فيه ملامح الوسطية، والمبحث الثاني خصصته لمظاهرها، أمّا المبحث الثالث؛ فكان مبحث تطبيقي تناولت فيه أمثلة عن الألفاظ الدالة على الوسطية الصريحة، والضمنية من خلال الملامح؛ مطبقة على نماذج منتقاة من سورة البقرة .

ومن خلال ما قدمته في المدخل والفصول؛ استطعت أن أتوصل إلى حوصلة من النتائج والتوصيات قدمناها في خاتمة هذا البحث؛ الذي اعتمدت في إنجازه على جملة من المصادر والمراجع من بينها، الوسطية في ضوء القرآن الكريم لناصر العمر، والوسطية في القرآن

الكريم للصلابي، وكتاب كلمات في الوسطية ومعالمها ليوسف القرضاوي وغيرها، بالإضافة إلى كتب التفاسير، كتفسير الطبري، وفي ضلال القرآن لسيد قطب .

وفي الأخير لابد من الإشارة إلى أني لا أزعم أن عملي هذا كامل متكامل يخلو من الشوائب والهفوات والثغرات؛ بل هو جهد المبتدئ على طريق المنهج العلمي، كما لا أنكر أنه قد واجهتني بعض الصعوبات في سيرورة البحث، من بينها قلة المراجع المتعلقة بهذا الموضوع في المكتبات الجامعية... أسأل الله العظيم أن يكون جهدي هذا مباركا، كما أسأله أن يتجاوز عن سهوي وتقصيري في حق القرآن الكريم، كتابة أو شكلا أو تفسيرا، والله ولي التوفيق.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمّةً وَسَطاً}البقرة 143

هكذا قال المولى ـ عز وجل ـ في خطابه الجليل واصفا الأمّة الإسلامية، فمن نعمه ـ جل ثناؤه ـ علينا أن جعلنا أمة وسطا خيارا عدولا، و جعلنا خير أمّة أخرجت للنّاس، كيف لا؛ هو القائل فينا:{كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعرف و تنهون على المنكر وتؤمنون بالله} آل عمران 110، فنزل خطابه ـ جل علاه ـ هداية ونور يدعونا حينا، و ينهانا أحيانا أخرى، كما جاء الخطاب القرآني ليرسم لنا منهجا خيّرا نسير عليه، ألا و هو منهج **الوسطية** الذي يُعدّ عين الاستقامة و الهداية والصراط المستقيم، وهاهي فاتحة الكتاب من أولها لآخرها تقرر ذلك. قال تعالى: {بسم الله الرحمن الرحيم ،الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد و إياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين }الفاتحة 1-7.

لتأتي بعدها الآيات مستفيضة، تدعو لمنهج **الوسطية**، فغايتنا من هذا البحث الوقوف عند هته **الوسطية** التي جاء بها الخطاب القرآني ، و قبل التطرق لذلك لابد من الإشارة إلى الخطاب القرآني، متعرفين على مفهومه و ميزته و خصائصه و أنواعه ؛ حتى يتسنَّى لنا التعامل معه.

1 - مفهوم الخطاب القرآني:

حتى نتعرّف على **الخطاب القرآني**، كقيمة تواصلية عليا،لا بد لنا أن نبدأ بالبحث عن مفهوم **الخطاب** في المنظور اللّغوي والاصطلاحي، حتى يتسنى لنا قراءة **الخطاب القرآني** و إيجاد مفهوم واضح له .

أ-مفهوم الخطاب:

شغل هذا المفهوم - و مازال يشغل - موقعا محوريا في جميع الأبحاث و الدراسات في مجالات تحليل النصوص، حيث اخذ هذا الأخير حيزا هاما من اهتمامات الدارسين قديما وحديثا، وسنقف فيما يلي عند مفهومه اللغوي، وبعدها الاصطلاحي.

أ/أ-**الخطاب لغة:** يعود أصل كلمة (**خطاب**) من حيث الاشتقاق اللغوي للغة اللاتينية،" التي ورد فيها (**discours**)، والتّي تعني الركض هنا و هناك، و لكن لم يبقى هذا المفهوم على حاله، حيث أصبح الجذر اللغوي اللاّتيني يحمل معنى الخطاب ومعانٍ كثيرة تدور في نفس السياق، بداية من القرن السّابع عشر، ليدلَّ بعد ذالك على التّواصل و المحادثة، من خلال تشكيل صيغ شفاهية أو كتابية عن فكرة معينة"[1].

إنَّ إيرادنا لهذا التّعريف اللاتيني، لا يعني خلو العربية بمعاجمها من هذا المصطلح ، إذ ورد في لسان العرب: "إن **الخطاب** يدل على مراجعة الكلام، أي اللغة التّي يستعملها الأفراد في حركية التّواصل "،[2] فالخطاب مشتق من فعل **خطب** الذي:"من معانيه الشأن و الأمر صغر أو عظم ....، و **الخطب**:الأمر الذي يقع فيه المخاطبة و الشأن و الحال"[3] ، كما يشير" **ابن منظور"**[4] إلى أن من معاني فعل **خطب** كذلك ما"يدل على النكاح وطلب الزواج، والمصاهرة و التَواصل القرابي، فا**لخِطبَة** موضوعها المرأة، و **الخُطبة** موضوعها الرسالة التي لها أول

---

[1] - مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، دار الخلودية ، القبة القديمة، الجزائر،1432ه/2011م،ص11.

[2] -ابن منظور محمد أبو الفضل ،لسان العرب ،دار صادر لبنان بيروت ،ط1،1992م المجلد1ص360.

[3] -المرجع السابق ص 361.

[4] **- هو محمد بن مكرم بم علي بن منظور، ولي القضاء في طرابلس، كان فاضلا عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، اختصر كثيرا من كتب الأدب وله لسان العرب، مات سنة 711.**

و أخر "[1]، كما أورد **ابن فارس**[2]:" أنّ الخطاب كلام بينك و بين الآخر."[3] ،وهذا يوافق تعريف **الزّمخشري** "[4]،في قوله :"...الخطاب هو المواجهة بالكلام "..."،وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول خطب "[5].

من خلال التعريفات اللغوية السّابقة؛ توصّلنا إلى مجموعة من الأفكار، تخصّ كلمة **خطاب** سواء في الأصل اللاتيني، أو الأصل العربي، بالنّسبة **لابن منظور** وردت في تعريفه أفكار مفتاحية، أوّلها وأهمها التّواصل الذّي يضمّ لغة الجسد من حركات، وإشارات وإيماءات جنبا لجنب مع اللّغة المنطوقة والمكتوبة، بالإضافة إلى تفريقه بين الخِطبة بمعنى المصاهرة، والخُطبة، بمعنى الرِسالة الموجّهة للآخر، أما **ابن فارس،** و **الزمخشري** فأضافا فكرة جوهرية في أساس البلاغة، هي أن يكون كلاما موجها للآخر، بمعنى استبعدا الكلام الذاتي الدّاخلي بما فيه التفكير.

أ/ب– **اصطلاحا:** الخطاب كما يظهر في الكثير من الدراسات عبارة عن :"عملية اتصال في إطارين :الإطار اللّغوي، فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين، كما يحدث في الخطاب أو غيره ،و إطار غير لغوي يشمل العادات و الأعراف والتّقاليد والعادات... الخطاب باعتباره حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل و المستقبل أو الجمهور والرسالة أو الموضوع و الهدف "[6].

---

[1]-ابن المنظور، لسان العرب، ص 361.

2-هو العلامة اللغوي المحدث أبو الحسنى أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني
[2]**المعروف بالرازي المالكي ،ولد بقزوين و أقام بالري ، ودفن بها عام 395ه.**

-ابن فارس .مقاييس اللغة فتح عبد السلام هارون . المجلد التالي دار الجيل بيروت 1420ه-1999م
[3]ص198.

4-هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ولد سنة 467 ه ، برع في النحو والتفسير والبلاغة ، كما يعد أيضا من رؤوس المعتزلة في عصره ، ومن أشهر مؤلفاته الكشاف و
[4]**أسرار البلاغة .**

5-الزمخشري . أساس البلاغة . مكتبة لبنان .ط1. 1998.مادة خطب ص203.

6 ـ خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث،
[6]الأردن، ط1، 1426ه/2005،ص23.

فالخطاب بشتى تعريفاته، لا يخرج عن نطاق كونه " كلاما يهدف لإيصال رسالة ، جدلا كان أم حجابا ، أم محاورة، ما يشترط وجود طرفين اثنين: **باثّ ومتلقٍّ**، بحيث يصبح الخطاب مرهونا بتلك العناصر، التي يمكن أن نمثّلها بالخطاطة التالية "[1]:

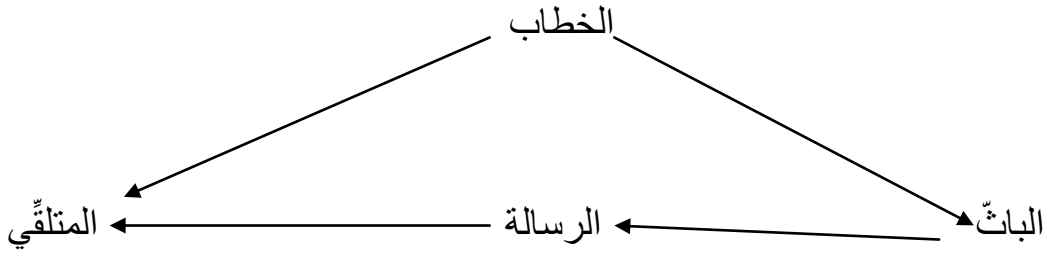

الشكل01:[2]

فالخطاب: "حدث لغوي يرسله متكلم أو مرسل نحو مخاطب أو مرسل إليه، قصد إفادته بمعلومات أو إخبار، في مقام محدّد، باستعمال وسيلة تبليغية محدّدة، والانطلاق من ظروف و أحوال و أوضاع مشتركة بينهما"[3]، من خلال هذا التّعريف يتبيّن أنّ الخطاب: حدث هدفه الأسمى التواصل بين متكلم و مخاطب على موضوع يصطلح عليه كل منهما، "يشترط أن يكون بشكل حي فوري، يتأسس على اللُّغة المنطوقة أوّلا، يرتبط بالتعبير عن كل نظم الإفادة في الممارسة الاجتماعية، فالخطاب نشاط لغوي بين مُرسِل و مُرسَل إليه عبر وسيلة معنية أساسه التَواصل و غايته الإفادة "[4]، أما **الخطاب** في **الدراسات النقدية المعاصرة المعاصرة** فيعدّ "وحدة لغوية أشمل من الجملة، و هو: تركيب من الجمل المنطوقة طبقا لنسق مخصوص من التأليف"[5] ، فيجد بعضهم أن الخطاب "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات آليات وعمليات انشغاله في التَّواصل"[6]،

[1] ـ مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص10-11.
[2] ـ **الشكل 01:** خطاطة لعناصر الخطاب.
3 ـ بشير إبرير، دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط2، 2010م، [3]ص2.
[4] ـ المرجع نفسه، ص2، بتصرف.
[5] ـ مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص11.
[6] ـ المرجع نفسه، ص11-12، بتصرف.

فالخطاب ـ حسبهم ـ هو: تلفّظ يشترط فيه وجود عنصرين أو طرفين أساسيين هما: المتكلم و السَّامع، بحيث تكون غاية الطرف الأول ـ المتكلم ـ تأثيرية على الطَّرف الثَّاني بأية طريقة كانت. "كما ينظر بعضهم إلى الخطاب، نظرة واسعة فيندرج ضمنه كل منطوق و مكتوب فلا يقتصر الخطاب عندهم على الملفوظ فحسب؛ بل كذالك هو الكتابة التي تعيد صياغة الخطاب الشفوي، أو التي تستعيد أسلوبه التَعبيري و أغراضه؛ مثل: المراسلات و المذكرات أو المسرحيات ... بعبارة موجزة كل الأنواع التي يتعاطاها المرء نفسه متحدثا، و ينظمها في مقولة شخصية"[1].

هذه نماذج بسطية من التَّعريفات الجمّة لمصطلح **الخطاب**، و ممّا يجدر الإشارة إليه أنّ: الخطاب شأنه شأن المصطلحات التّي تكونت حولها ضبابية الرؤية التعريفية، فكان ـ و لايزال ـ محور جدل الكثير من الدارسين و المهتمين، كما يجدر بنا أن نشير إلى أن مادة **"خَطَبَ"**، قد وردت في الخطاب القرآني **"اثنتي عشرة مرة "**[2]، موزعة على اثنتي عشرة آية، كما وردت بدلالات مختلفة. "فمدة حمل اللفظ معنى " **التوجّه بالحديث"**[3]، في قوله تعالى :{رب السموات و الأرض و ما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا }النبأ 37.، وفي مرة ثانية " حمل اللفظ معنى **التّفصيل للكلام و المعاني** "[4]، في قوله تعالى عن داوود عليه السّلام :{و شددنا ملكه وأتيناه الحكمة و فصل الخطاب }ص20، و في مرة ثالثة " حمل اللفظ **معنى الجدال و الحجاج** "[5]، و من ذلك قوله تعالى: { فقال اكفلنيها و عزّني في الخطاب }ص23...

إنَّ الحديث عن **الخطاب** يفتح لنا بابا يصعب غلقه ، لأنّ الباحثين لم يجدوا له صيغة تعريفية مانعة كونه ، يخضع لحقول معرفية مختلفة، فتفرَّع عنه: الخطاب السياسي و الأدبي

---

[1] ـ المرجع السابق، ص12 ، بتصرف.

2 ـ من المواضع التي وردت فيها مادة (خ ـ ط ـ ب): قوله تعالى: {وَلَا **تُخَاطِبْنِي** فِي الذِّين ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغرَقُونَ }هود37، { قَالَ فَمَا **خَطْبُكَ** يَا سَامِرِيُّ }طه95، {وإذا **خاطبهم** الجاهلون قالوا سلاما }الفرقان63، { قَالَ فَمَا **خَطْبُكُمْ** أَيُّهَا المُرسَلُون } الحجر57، وكذا قال في سورة الذاريات: { قَالَ فَمَا **خَطْبُكُمْ** أَيُّهَا المُرسَلُون } الذاريات31...

[3] ـ مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص10.

[4] ـ المرجع نفسه، ص10.

[5] ـ المرجع نفسه، ص10.

و الفلسفي، **والخطاب القرآني،** و غيرها من الخطابات، و لكن ما يهمُّنا في هذا المقام هو النوع الأخير ـ **الخطاب القرآني** ـ محاولين أن ننتقي أبلغ التعريفات من الكم الهائل منها، وقبل ذلك؛ بما أنَّ هذا المصطلح يتكون من كلمتين الأولى: **الخطاب** والثانية **القرآني** وبما أنَّنا تناولنا لفظة خطاب، فلا بأس بأن نقف عند الكلمة الثانية **القرآن** .

بـ ـ القرآن:

في اللغة: يأتي بمعنى الجمع و الضم والقراءة، فهو من "مادة **قرأ** و منه قرأت الشيء، فهو **قرآن** :أي جمعته، و ضممت بعضه إلى بعض...و منه قوله ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ، و ما قرأت جنينا، أي لم تضم حملها على ولد "[1]، وفي التّنزيل قوله تعالى: {إنَّ عَلينَا جَمعَهُ و قُرآنَهُ}القيامة 17.

أمّا **في الاصطلاح**: فإذا ما أردنا تعريفًا **للقرآن** "يرسم صورته كما هي في ذهن المسلم كما أورثها من محيطه الثقافي، قلنا مع القائل: **القرآن الكريم** هو: كلام الله سبحانه و تعالى نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ على نبينا محمد ـ صلّى الله عليه وسلم ـ، و هو المكتوب في الصحف المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس ...المنقول إلينا بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته المتحدي بإعجازه"[2] .

ولو أودنا كل السيّاقات في تعريف **القرآن؛** لا يمكن أن نصل إلى تعريف أبلغ كما عرّف **القرآن الكريم** نفسه بنفسه، وذالك من خلال قوله تعالى:{ وإنَّهُ لَتَنزِيلُ ربِّ العَالَمِينَ نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمِين عَلَى قلَبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِين} الشعراء192- 195.هته الآيات الكريمة أبلغ ما يكون في تعريف **القرآن.**

فالقرآن الكريم: هو" **خطاب** تبليغ مُرسل من رب العالمين، إلى مُرسل إليه هو الناس أجمعين، و أنَّ حامل **الخطاب** هو الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فهذا الخطاب

ـ الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، 1999/1420، [1]مادة قرأ، ج1، ص65,

ـ محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول في التعريف بالقرآن، مركز دراسات [2]الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، أكتوبر2006، ص18.

مخترق حدود الزّمان و المكان و البيئة "[1]، ولقد استطاع ـ جل من أنزله ـ ابتكار أساليب تواصلية فعَّالة، تنوعت بحسب المقام و السياق، ممّا جعله يتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة المتنوعة، فمرة يخاطب العقل...و مرة يخاطب الروح ... يستعمل أسلوب التّرغيب و التّرهيب والقصة و المثل ما جعل من **القرآن الكريم:** منظومة تواصلية بالغة الأثر"[2]. ولذالك كان **للخطاب القرآني** منزلة عالية عند المتلقي؛ لأنه خصّه بعناية شديدة، فواجهت آياته روح المتلقي وعقله وضميره، وخاطبته من نقطة قريبة من مداركه .

وخلاصة قولنا في مفهوم الخطاب القرآني :

أنَّه: **خطاب** الهي معجز، موجه إلى "المكلفين بقصد تفهيمهم مالهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم و أخراهم، وهذا يستلزم كونه بينا واضحا لا إجمال فيه ولا اشتباه"[3]، فهو رسالة إبلاغية عالمية لكل الناس، ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهَّلا ـ و بشكل دائم ـ لأن يكون من أهمّ الرسائل التعبيرية التّواصلية ... و لعل مجيء **الخطاب القرآني** بصيغة العموم و الشمول... هو دليل عالمية هذه الرسالة "[4]، بحيث وردت العديد من الآيات القرآنية، "التّي التزمت خطاباتها مسؤولية الوصية و النصيحة و التوحيد، لعموم البشر في هذا الكون ، أينما وجدوا على مستوى طوائفهم وانتماءاتهم كافة "[5]، و من هنا اكتسب **الخطاب القرآني** " دور فاعل ومهم في احتواء كل ما من شأنه أن يتبع للرسالة الخالدة مخاطبة للإنسان ـ على وجه العموم ـ بقصد توجيه و نصحه وتصويب مساره، بالجملة التأثير في مناحي حياته كافة"[6]، ولا شك أنَّ هذا ما يجعل **للخطاب القرآني** أهمية بالغة في حياة البشرية جمعاء، و ما يجعل له القدرة العالية على إقناع العقل البشري، لكن لا

---

[1] ـ لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1435ه/2014م، ص72.

[2] ـ المرجع السابق، ص71.

[3] ـ عبد الرحمن سعود إبداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دار البازوني العلمية، الطبعة العربي، 2014، ص13.

[4] ـ الجودي، جمالية الخطاب النص القرآني، ص94.

[5] ـ المرجع نفسه، ص94.

[6] ـ المرجع نفسه، ص95.

يتسنّى له ذلك إلّا بالتدبر في معانيه، و ملازمته تلاوة وتدبرا وفهما، إذ لا يمكن أن يسلك الإنسان مهجا دون فهم أو إقناع، فبالتدبر و الفهم يتمكن الإنسان وفق **النهج** الذي رسمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ له في **خطابه** الجليل .

ميزة الخطاب القرآني وخصائصه:

الخطاب القرآني: "خطاب إلهي متفرد عن غيره من الخطابات و في كل مستوياته صوتية معجمية ،تركيبية إيقاعية و تداولية "[1]، "فهو معجزة نبينا الكبرى؛ لما حواه من خصائص في ألفاظه و أسلوبه و لتأثيره البالغ في النفوس، و إعجاز العرب أجمعين، بل الإنسان والجن...و صدق الله العظيم حينما قال في كتابه : {قُل لَئِن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}الإسراء 88"[2]، لقد تحدى الله ـ سبحانه و تعالى ـ الثقلين، على أن يأتوا بآية واحدة، و قد حاول بلغاء العرب و مكان لهم ذالك ، لا لشيء، إلا لأنّه "كلمته ـ جل علاه ـ التّي نزلت على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، التي تحمل كل صفاته ولا نهائيته، وبقائه ولعل هذه **المرجعية التي يتميز بها الخطاب القرآني** أهم ما يميزه عن باقي الخطابات"[3]، والتّي أكسبته خصائص شدّت العلماء و الباحثين إليها ليوردوها في بطون مؤلفاتهم جمة لا تعد ولا تحصى وفيما يلي سنذكر نقطة من بحر **خصائصه:**

أولا :"جريان ألفاظه على نسق بديع ، خارج عمّا ألفه العرب من طرائق الخطاب فلا هو بالشعر ولا هو بالنثر"[4]، هذا الأمر الذّي حيّر العرب، إذ عرضوه على موازين الشعر فوجدوه غير خاضع لأحكامه، قارنوه بفنون النثر فوجدوه غير لاحق بالمعهود من طرائقه، فحكم عليه الجاحدون ـ منهم ـ على أنّه سحر مبين، بينما سلَّم المنصفون ـ منهم ـ بأنه تنزيل من رب العالمين "[5]. الأمر الذي استوقف العرب هو أنَّ هذا الخطاب يحمل رسالة سماوية

[1] ـ مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص17.
[2] ـ عبد الرحمن سعود إبداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، ص32.
[3] ـ مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص17.
[4] ـ عبد الرحمن سعود إبداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، ص33.
[5] ـ المرجع نفسه، ص33. بتصرف.

بلسانهم، في قوله تعالى:{ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين }الشعراء 195، ألفاضه ليست غريبة بل كانت مستعملة عندهم في معانيها اللّغوية، خاضعة لقواعد لغتهم إلاَّ أنه أعجزهم بنسقه البديع .

ثانيا: إنَّ الخطاب القرآني؛ رغم تناوله لموضوعات متنوعة فيها التَّشريع و القصص و المواعظ، و التَّرغيب والتّرهيب... إلَّا أنَّه يظل على مستوى واحد من السّموّ في جمال لفظه ورقة صياغته و روعة عبارته... يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، و المتنافر في الأفراد دال حد الآحاد و هذا أمر عجيب تتبين فيه الفصاحة، و تظهر به البلاغة ...ما تتقاصر عنده البشرية"[1].

إنَّ الخطاب القرآني باختلاف تصرفاته لا يخلو من هذه الخاصية، فلو اخترنا أية آية منه لالتمسنا من البلاغة و الفصاحة ما يفوق التخيل أي بليغ أو فصيح .

ثالثا:" استعمال بعض الألفاظ لكي تؤدّي معاني جديدة؛ أخصّ من المعاني التّي وضعت له في أصل اللغة"[2]. و الأمثلة على ذالك كثيرة، نذكر- على سبيل المثال لا الحصر- كلمة **الصّلاة؛** التّي تعني في اللغة: الدعاء، فكساه **الخطاب القرآني** معناً جديدًا، لتعبر عن تلك الفريضة التي يؤديها المسلم، أو على الرّكن الثّاني من أركان الإسلام الذي يعتبر عماد الدين، وكذا **الصوم** الذي يعني في اللُّغة: الإمساك، فاكتسب من **الخطاب القرآني** معنًا جديدًا، ليعبر - هو الآخر- عن رابع أركان الإسلام والذي يقوم فيه المسلم بإمساك جوارحه عن المعاصي، وبطنه عن الأكل، من وقت معين إلى وقت معين، بأجر و ثواب عظيمين ...و الكلمات في هذا المقام كثيرة التي أكسبها **الخطاب القرآني** معاني جديدة لها صلة بمعانيها الأصلية لتقريب المعنى القرآني المقصود.

[1] - المرجع السابق، ص34.
[2] - المرجع نفسه، ص35.

رابع: "إرضاؤه العامّة و الخاصّة، وهذه خاصية يختصّ بهذا الخطاب القرآني عن غيره من الخطابات، لأن الخطابات الأخرى قد ترضي صنفا دون الآخر، فقد يرضي الشاعر و الأديب ولا يرضي القضاة والصناع" [1].

خامسا: "إخراج الكلام المتيقن في صورة المشكوك تحريرًا للمعنى و مبالغة فيه، وذلك باستعمال كلمتي **عسى** و **لعلَّ،** فهما من الله تعالى واجبتان، و في كلام المخلوقين فيه للترجي والطمع، فالخلق هم الذين تعرض لهم الشكوك والظنون ، و البارئ منزّه عن ذالك"[2].

سادسا: طريقته في عرض الموضوعات: لم ينسج القرآن الكريم على منوال المؤلفين في عرضهم الموضوعات، و تناولهم للقضايا، بل نهج منهجا آخر عجيبا في نظمه، و عجيبا في أدائه، الغرض المقصود منه على نحو ضاف واف، فبمختلف المواضيع و المعاني الجريئة، إنّما يدور جميعه على معنى كلّي واحد، و هو دعوة الناس إلى عبادة وحده لا شريك له ..."[3].

إنّ أهم ما يميز **الخطاب القرآني** هو **مرجعيته؛** التّي أكسبته خصائص عديدة، لا يمكن حصرها في أسطر قليلة، و لعلّ ما نقلته عن عبد الرحمن سعود إبداح ـ في كتابه أدب الخطاب في القرآن الكريم ـ من خصائص ليست إلَّا بالجزء اليسير من بحره الذي يزخر به .

[1] ـ سعود إبداح،أدب الخطاب في القرآن الكريم، ص34. بتصرف.
[2] ـ المرجع السابق، ص36.
[3] ـ المرجع نفسه، ص37-38. بتصرف.

أنواع الخطاب القرآني :

وجوه الخطاب القرآني؛ عديدة لا يمكن إحصاءها إلاّ بما جاء به علماء الأصول في اجتهاداتهم، و تذكر من بينهم "**السيوطي**"[1]، الذي ذكر- في معترك الأقران - بأنّ: "**للخطاب القرآني** ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، و قسم لا يصلح إلا لغيره - عليه السلام - و قسم يصلح لهما ". كما نقل عن بعض الأقدمين أنّ القرآن أُنزل على ثلاثين نحوا ...ومن هذه الوجوه: المكي و المدني ،و الناسخ و المنسوخ، والمحكم و المتشابه، و التقديم و التأخير، و الخاص و العام والأمر والنهي، والوعد و الوعيد و الخبر و الاستفهام والمواعظ و الأمثال و القسم ،وغيرها"[2] .

ويذهب **سعود إبداح** في كتابه أدب الخطاب في القرآن الكريم إلى أن "مسالة تعدد الآراء في **وجوه الخطاب القرآني** يرجع إلى زاوية نظر كل من أصحابها، و يعرج في كتابه لبعض منها حسب ما سنورد باختصار أهم هذه الوجوه مع ذكر أمثلة عنها .

1 - خطاب العام والمراد به العموم: كقوله تعالى {يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم }البقرة 21، ...قوله تعالى:{يا أيُّها النَّاس}، يقتضي أن الله تعالى أمر كل الناس بالعبادة، فلو خرج بعض عن النّاس عن هذا الخطاب لكل ذلك تخصيصا للعموم فلفظ الجمع المعرف بلام التعريف يفيد العموم "[3].

2 - "خطاب الخاص و المراد به الخصوص: كقوله تعالى {فلمَّا قَضَى زَيد منها وَطرًا زوّجناكم }الأحزاب 37، المراد بالأمر بتزويجها - أي عائشة رضي الله عنها - ...

---

1 - السيوطي: هو عبد الرحمن جلال الدين ابن الإمام كمال الدين الحصيري السيوطي العالم المحدث، المفسر المتقن، صاحب التصانيف المشهورة، ورسائل العلم المأثورة، توفي سنة911ه/1505م ودفن بمصر قرب الإمام الشافعي.[1]

[2] - سعود إبداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، ص32. بتصرف.

[3] - المرجع نفسه، ص20 -21، بتصرف.

3 ـ خطاب الخاص و المراد به العموم : كقوله تعالى:{يا أيّها النَّبي جَاهِد الكفُّار و المُنَافقين} التوبة 83، ...الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم و تدخل فيه أمته من بعده".[1]

4 ـ "خطاب العام و المراد به الخصوص: كقوله تعالى {الذين قَال لهم النّاس إنَّ النّاس جمعوا لكم فاخشوهم }آل عمران 173، فعموم كلمة يقتضي دخول جميع الناس في اللفظتين و المراد بعضهم لأن القائلين غير المقول لهم .

5ـ خطاب الجنس: نحو قوله تعالى: {يا أيّها النّاس اتقّوا ربّكم }النساء01، فإن المراد بها جنس الناس لكل فرد فيه فغير المكلف لا يدخل تحت هذا الخطاب .

6ـ خطاب النوع: هو أخص من الجنس، نحو قوله تعالى:{ يَا بَنِي إسرَائِيل }البقرة 40، والمراد به بنو يعقوب ـ عليه السلام ـ "[2].

7ـ خطاب العين: نحو قوله تعالى:{اسكن أنت و زوجك الجنة }البقرة 35.

8 ـ خطاب المدح: و قد وقع هذا في القرآن الكريم خطابا لأهل المدينة، الذين آمنوا وهاجروا تمييزا لهم عن أهل مكة، نحو قوله تعالى :{يا أيّها الذين آمنوا }،و لا شك أنّ المؤمنين من أهل مكة يدخلون في هذا الخطاب أيضا"[3].

هذه أبرز أنواع أو أوجه **الخطاب القرآني** التي أوردها سعود إبداح و غيرها كثير ...

[1] ـ المرجع نفسه، ص 21، بتصرف.
[2] ـ المرجع السابق،ص22-23. بتصرف.
[3] ـ المرجع نفسه، ص23-24، بتصرف.

إذن من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن :

الخطاب القرآني: خطاب إلهي يوجهه الله سبحانه و تعالى إلى المكلف قصد تفهيمهم مالهم وما عليهم. ومن هزته، أنه منفرد عن غيره من الخطابات، فهو معجزة لما يحمله من خصائص في الألفاظ و الأسلوب و لما له تأثير بالغ في النفوس، له **وجود عدة** تعددت بتعدد، آراء العلماء فذكر **السيوطي** أنه على ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ، و قسم لا يصلح إلا لغيره عليه الصلاة و السلام . و قسم يصلح لهما، **فالخطاب القرآني**، ليس موجها إلى الصفوة من الناس بل **هو خطاب مفتوح متعدد** ...من **أغراضه** أنه يحمل رسالة سماوية أنزلت على النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى البشرية جمعاء .

الفصل الأول: الوسطية و أسس فهمها

المبحث الأول: مفهوم الوسطية

أ- لغة.

ب- اصطلاحا.

المبحث الثاني: الوسطية في استعمال الخطاب القرآني

أ- لفظة {وسَطَاً} من سورة البقرة.

ب- لفظة {الوُسْطَى} من سورة البقرة.

ج-لفظة {أَوْسَط} من سورتي المائدة و القلم.

د-لفظة {وَسَطْنَ} من سورة العاديات.

تحرير معنى الوسطية.

المبحث الثالث: أسس فهم الوسطية

أ-الغلو و الإفراط.

ب-الجفاء و التفريط.

ج-الصّراط المستقيم.

و الخيرية و النصف و البينية و التوسط بين الطرفين[1] جاء في مختار الصحاح(وسط) القوم من باب (وعد) وسطة ايضا بالكسرة اي توسطهم و الاصبع الوسطى معروفة و التوسيط ايضا ان تجعل الشيء نصفين و (التوسط) بين الناس من الوساطة[2] و في اللسان قال ابن منظور: (وسوطا) بمعنى: المتوسط المعتدل و منه قول الاعرابي: علمني دينا وسوطا لا ذاهب فروط ز لا ساقطا سقوط فان الوسوط ههنا المتوسط بين الغالي و التالي[3] و (وسيطا) اي حسيبا شريفا ففي الصحاح و فلان (وسيط) في قومه اذا كان اوسطهم سنا و ارفعهم محلا[4] و (التوسيط) اي تجعل الشيء في الوسط [5]و (وسوط الشمس) نوسطها السماء[6]... و (الوسط): اسم للمكان الواقع بين امكنة تحيط به و اخذ فيه معنى الصيانة و العزة طبعا كوسط المملكة تجعل محل قاعدتها و كواسط العقد لانفس لؤلؤة فيه فمن اجل ذلك صار معنى النفاسة و العزة و الخيار و من لوازم معنى الوسط عرفا فاطلقوا على الخيار و النفس كناية و هكذا تبين لنا مفهوم الوسطية من حيث اللغة و الاشتقاق و انها تدور في حقل معان متقاربة، اهمها الخيرية البينية اذ تعدان صفتان لا تصح الوسطية الا بهما سنبين لاحقا...

ب-الوسطية اصطلاحا:

ان المدلول الاصطلاحي للفظة (الوسطية) لا يبتعد عن مدلولتها المعجمية فقد وردت العديم من التعارف خاصة عند الاصوليين حسب ما اوردوها في ثنايا بحوثهم- و سنذكر بعض النماذج منها-على السبيل المثال لا الحصر قدم (فريد عبد القادر)* تعريفا موجزا فيقول: الوسطية هي مؤهل الامة الاسلامية من العدالة و الخيرية للقيام بالشهادة على العالمين و اقامة الحجة عليهم [7]يبدو ان فريد عبد القادر قد استنبط مفهومه من اية الوسطية في قوله تعالى: و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا البقرة 143 اما يوسف القرضاوي* فقد اهتم ايما اهتمام بالوسطية اذ نجدها في جل مؤلفاته فيعرفها بقوله الوسطية من ابرز خصائص الاسلام و يعبر عنها ايضا بالتوازن و الاعتدال و نعني بها التوسط او التعادل بين طرفين متقابلين او متضادين حيث لا ينفرد احدهما بالتاثير و يطرد الطرف المقابل و بحيث لا ياخذ احد الطرفين اكثر من حقه و يطغى على مقابله و يحيق عليه،[8] و يضرب القرضاوي امثلة على ذلك فيقول: مثال الاطراف المتقابلة او المتضادة الربانية و الانسانية و الروحية و المادية الاخروية و الدنيوية الوحي و العقل الماضوية و المستقبلية الفرادية و الجماعية الواقعية و المثالية الثبات و التغير و ما شابهها[9] كما يوضح لنا هذه الامثلة و علاقتها بالوسطية فيقول: و معنى التوازن بينهما ان يفسح لكل

---

[1] محمد بالكريم وسطية اهل السنة بين الفرق دار الراية الرياض ط1 1415، 1991، ص 17.
[2] ابو بكر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، صيد-بيروت،2006، ص 338.
[3] ابن منظور، لسان العرب، فصل الواو، باب وسط، ج7، ص 430.
[4] الجوهري الصحاح، ج3، ص 1167.
[5] ابن منظور، لسان العرب، فصل الواو، باب وسط، ج7، ص 430.
[6] ناصر بن سليمان العمر، الوسطية في ضوء القران الكريم دار الوطن، الرياض ط1، 1414-1993، ص 10.
* خالي علم في جامعة الامام محمد بن سعود تقدم ببحث في الوسطية في الاسلام و قال به درجة الماجستير.
[7] فريد عبد القادر، الوسطية في الاسلام.
* هو الشيخ الداعية الفقه الدكتور يوسف القرضاوي من علماء الازهر و له جهود مشكورة في مجال الدعوة و العلم.
[8] يوسف القرضاوي كلمات في الوسطية و معاملها دار النشر القاهرة مصر ط3 2011.
[9] المرجع السابق ص 13.

طرف منها مجاله و يعطي حقه { بالقسط} او {بالقسطاس المستقيم} الاسراء 35- الشعراء 115 بلا وكس و لا شطط و لا غلو و لا تقصير و لا طغيان و لا اخسار كما اشار الى ذلك كتاب الله بقوله {و السماء رفعها و وضع الميزان الا تطغوا في الميزان و اقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان} الرحمن 7-8-9 فالوسطية هي التي تقيم الوزن بالقسط بلا طغيان [10]و في موضع اخر يعرف القرضاوي الوسطية على انها: احدى الخصائص العامة للاسلام و هي احدى المعالم الاساسية التي تميز الله بها امته عن غيرها {و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا} فهي امة العدل و الاعتدال التي تشهد في الدنيا و الاخرة على كل انحراف يمينا او شمالا عن خط الوسط المستقيم [11]هذا التعريف قريب جدا من تعريف فريد عبد القادر اما مروان الفاعوري * فيعرفها بقوله: ان الوسطية مرجعية فكرية فيمة و معيارا حاكما يتعين الاحتكام اليه في تحديد الانسب او الاصلح قولا و فكرا و فقها و موقفا و وضعا و خلقا وسلوكا عمليا و نقصد بالوسطية الاعتدال في التصورات و المناهج و الموافق.[12]

و من حملة ما سبق بيانه من التعاريف يمكن ان نستخلص تعريفا اصطلاحا محددا للوسطية اذ يمكننا القول بان (الوسطية) هي خاصية من خصائص الامة الاسلامية ميزها الله سبحانه و تعالى بها، فهي منهجها و شعارها منهج الاعتدال و التوازن بعيدا عن كل افراط و تفريط انه المنهج الوسط للامة الوسط و هذا ما بينه الله سبحانه و تعالى في مواضع كثيرة في الخطاب القراني.

---

[10] المرجع نفسه ص 13.

[11] يوسف القرضاوي الصحوة الاسلامية بين الجحود و التطرف، دار الشروق، القاهرة، مصر، طبعة دار الشروق الاولى، 1421-2001، ص 24.

* المهندس مروان الفاعوري الامين العام للمنتدى العالمي للوسطية.

[12] مروان الفاعوري الوسطية منهج استراتيجي للامة مؤتمر الوسطية، مختاران من فكر الوسطية.

المبحث الثاني: الوسطية في استعمال الخطاب القرآني

وردت مادة **"وَسَطَ"** في الخطاب القرآني ، في مواضع خمسةٍ و ذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظة " وَسَطًا" في الآية **143** من سورة البقرة في قوله تعالى:

{وَ كذلك جعلناكم أمّة وسطا}، كما جاءت بلفظة " الوُسْطَى" في الآية 238 من نفس السورة في قوله تعالى:

{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الوُسْطَى} ، و وردت في سورة المائدة، في **الآية 89** بلفظة " أَوْسَط" في قوله تعالى:{ من أوسط ما تطعمون أهلِيكم}، و في الآية 28 من سورة القلم ، وردت بلفظة " أَوْسَطُهم" في قوله عزّ وجل:{ فقال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون}، و جاءت بلفظة " وَسَطْنَا" في الآية 05 من سورة العاديات ،في قوله تعالى:

{ فَوَسَطْنَا بِهِ جَمْعاً}.

يمكن أن نحصيها في الجدول الآتي:

عدد المصطلح في القرآن	عدد السور التي ورد فيها	مكيـــــــــة	مدنيـــــــــة
خمس مرات" 05"	أربعُ سورٍ "04"	سورتان "02"	سورتان "02"
شكـــل 01 [1]			

سنوضّح معنى كلّ لفظة وفق ورودها في الخطاب القرآني مسترشِدينَ بأقوال المفسرين، و بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، في توضيح معاني تصاريف كلمة "وَسَطَ".

[1] شكل01: يمثل إحصاء لعدد ورود الوسطية في الخطاب القرآني.

أولا: "وَسَـــطَـــــا"

في قوله تعالى:{ و كذلك جعلناكم أمة وسطا} البقرة 143.

لقد وردت تفسير هذه الكلمة في السنّة النبوية، كما ذكر لها المفسّرون عدّة معانٍ:

يذكر عبد الرحمن بن **ناصر السعدي** *[1] في **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان"** في قوله تعالى: **{ و كذلك جعلناكم أُمّةً وسطا }**؛ أي "عدلا خيارا ، و ما عدا الوسط فأطرافُه داخلة تحت الخطر..."،و قد فصل السعدي في تفسيره هذه الآية فقال: " فجعل الله هذه الأُمَّةَ وسطا في كلِّ أمور الدين، وسطا في الأنبياءِ بين من غلا فيهم كالنصارى ، و بين من جفاهم كاليهود...ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود و آصارهم و لا تهاوُنَ النصارى".[2]

و ذكر كذلك في هذا المقام ، الوسطية في الطهارة و المأكل و الملبس ، و في الحكم بالقسط بين الناس بحيث، يحكمون على سائر أهل الأديان و لا يحكم عليه غيرهم،فما شهدت له هذه الأمة بالقبول ، فهو مقبول و ما شهدت له بالردّ فهو مردود...[3]

2- يذهب **ابن كثير**[4] في تفسير القرآن العظيم، إلى ذكر أفضلية هذه الأُمّة في قوله:**"يقول تعالى: إنما حوّلناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام و اخترناها لكم لنجعلكم خير الأمم لتكونوا، لتكونوا يوم القيامة شهداءَ على الأُمّة، لأنَّ الجميع معترفون لكم بالفضل"[5]، ثمَّ يذهب إلى التعريف اللغوي لمادة " وَسَطَ"،فيقول: " و الوسط هنا الخيار، و الأجود ، كما**

السَّعْدِي: هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر عبد الله آل سعدي التمّيمي الحنبلي، ولد " بعُنيزة" بالقصيم السعودية سنة 1307ه و كان عالما،محررا نبغ في عدة علوم منها العقيدة و الفقه، توفي سنة 1367.
[1] ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تق.العزيز بن عقيل وk عبد الرحمن ب محمد بن صالح العثيمين، تح.عبد الرحمن بن معلا اللويحق دار ابن حزم بيروت لبنان **ط1، 2003/1424 ص56**

[2] المرجع نفسه ،ص 56 بتصرف

[3] ابن كثير:هو عماد الدين أبو الفداء بن عمر بن كثير الدمشقي الشّافعي، الإمام الحافظ، المؤرخ،صاحب تفسير القرآن العظيم الذي حاز المرتبة الثانية في التفسير بالمأثور بعد تفسير الطبري ولد عام 701ه، توفي 774ه.
[4]

[5] الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج1 مكتبة المدينة ،القاهرة ص220-221.

يقالُ: قريش أوسط العرب نسبًا و داراً؛ أي خيرهما، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وَسَطاَ في قومه ؛أي أشرفهم نسباً...[1]، ثم استشهد بالقولِ النبوي في أفضلية هذه الأُمّة.

يقول:**"قال الإمام أحمد حدّثنا وكيعٌ عنِ الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول:لبّيْكَ و سعَدَيْكَ يا ربّ،فيقول: هل بلّغْت؟ فيقول: نعم، فيقالُ لأُمّته: هل بلّغكُم؟فيقولون:ما أَتانا مِن نذيرٍ، فيقولُ: من يشهدُ لكَ؟فيقول: محمّدٌ و أُمّتُه،فيشهدون أنّه قد بلَّغ"**[2]**،قال: فذلك قوله-تعالى-:{ و كذلك جعلناكم أمّة وسطًا} قال:" و الوسط؛ العدل.**[3]

3-و قال **الإمام الطبري**[4]:" و أما الوسط فإنه من كلام العرب: الخيار يقال منه: فلانٌ وسطُ الحسبِ في قومه؛ أي متوسط الحسب، إذا أرادوا لذلك الرِفعة في حسبه...و أنا أرى أن الوسط في هذا الموضوع؛هو الوسط بمعنى الجزء، الذي هو بين الطرفين، مثل وسطُ الدار، و أرى أنّ الله تعالى ذكره؛ إنما وصفهم لأنهم وسطٌ لتوسُّطِهم في الدين ، فلا هم أهل غُلُوٍ فيه كغُلُوِّ النصارى...و لا هم أهلُ تقصيرٍ فيه ، كتقصير اليهود...[5]

4-و في هذا يقول القرطبي[6]:" المعنى: و كما أن الكعبة وسطُ الأرض،{كذلك جعلناكم أُمّة وسطا}؛ أي جعلناكم دون الأنبياء و فوق الأمم و الوسط العدل، و أصلُ هذا أن أحمدَ الأشياءِ؛ أوسطُها[1]

---

[1] المرجع السابق **ص221**

محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري،دار الفكر ط1414،1ه/1991 ،كتاب التفسير

[2]باب" و كذلك جعلناكم..."ج5 رقم الحديث 4487، ص176

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،**ص 221**

الطبري: هو الإمام المؤرخ المفسر الفقيه الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد في "آمل

[4]طبرستان" و استوطن بغداد حتى توفي بها عام 310ه.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ،دار الكتب

[5]العلمية بيروت، لبنان ط3 1420ه/1999 ج2 ص**567**

القرطبي:هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تفقّهَ على مذهب مالك و اعتنى بتفسير القرآن الكريم، توفي بمصر سنة 671 و له مصنفات منها؛ الجامع لأحكام القرآن ، و

[6]التذكار في أفضل الأذكار و التذكير.

5-يقول **سيِّد قُطْب**[2]:" في تفسير هذه الآية: و إنها لَأُمةٌ وسط، بكلّ معان الوسط، سواء من الوساطة ، بمعنى الحسن و الفضل،أو من الوسط بمعنى الإعتدال و القصد، أما الوسط بمعناه المادي و الحسّي، أمة وسطا في التصور و الإعتقاد، أمة وسطا في التفكير

و الشعور، أمة وسطا في التنظيم و التنسيق، أمة وسطا في الإرتباطات و العلاقات، أمة وسطا في الزمان ، أمة وسطا في المكان".[3]

لقد أجمع المفسّرون في تفسير هذه الآية على أن لفظة "وَسَطًا" تدلُّ على الأفضل

و الخيار و العدل، و قد استشهد-جُلُّهُم- في تفاسيرهم بالحديث النّبوي الذي ينُصُّ على عدل هذه الأمة و أفضليتها.

---

[1] عبد الله محمد القرطبي، تفسيرُ القُرطبي،تح،سالم مصطفى البدري مجلد1 ،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1 1420ه/2000م ، ج2 **ص104**

[2] **هو سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي،ولد في قرية موشة في صعيد مصر عام1906 درس القرآن دراسة أدبية و تخرج بكتابه التصوير الفني في القرآن، أُعدم مساء يوم الأحد 1966/8/28،أشهر مؤلفاته في ظلال القرآن.**

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن المجلد الأول ، دار الشروق بيروت، **ط15 ،1408ه/1988م ص131**

ثانيـــــاً:" الوُسطَى"

في قوله تعالى:{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ و الصَّلاَةِ الوُسْطَى} البقرة **238**

وردت الكثير من أقوال المفسرين ،حول هذه الآية و آية الصلاة المقصودة بالوُسطى؛ سنوردُ بعض التفسيرات، و أقوالهم:

1-"يعدُّ **ابن الجوزي**[1] أقوال العلماء في المُرادِ بالصلاة الوسطى،ثلاثة أصنافٍ: أحدهما: أنها أوسط الصلوات محلاً، و الثاني أوسطها مقدارا، و الثالث أفضلها، و يقول : إن قلنا؛ إن الوسطى بمعنى الفضلى، جاز لنا أن يدعي هذا كل ذي مذهب فيها، و إن قلنا: إنها أوسطها مقداراً ؛فهي المغرب، لأنّ أقل المفروضات ركعتان، و أكثرها أربعاً، و ان قلنا إنها أوسطها محلاً ،فللقائلين إنها العصر أن يقولوا: قبلها صلاتان في النهار و بعدها صلاتان في الليل فهي الوُسطى؛ و -هناك من يقول- : هي وسط بين الليل و النهار، و هناك من يقول أنها الظهر لأنها وسط النهار و من قال بأنها المغرب محتجّاً بأن أول صلاة فُرضت الظهر، فصارتِ المغربُ وُسْطى ؛ و من قال بأنها العشاء قال: لأنها تتوسط صلاتين لا تُقَصّران"[2]

و مع كل هذه الإختلافات يتبيّن بأن المعنى مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالوسط.

2-يُفَسّر **السعدي** هذه الآية في قوله:" يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات عموما ، و على الصلاة الوسطى و هي العصر –خصوصا- و المحافظة عليها أداؤها بوقتها و شروطها و أركانها و خشوعها ، و جميع ما لها من واجب و مستحبّ.[3]، يُعَدُّ السعدي من المفسّرين الذين اعتبروا صلاة العصر هي المقصودة.

3-أما **الطبري** فقال بعد أن رجّح أن **الصلاة الوسطى** هي؛ العصر: و إنما قيل لها **الوسطى** ، لتوسُّطها الصلوات المكتوبةِ الخمس، و ذلك أن قبلها صلاتين، و بعدها صلاتين و هي

---

[1] هو العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي القُرشي البغدادي الحنبلي صاحب المصنفات الكبار التي تبلُغُ **300** مصنفاً في الحديثِ و الوعظ و التفسير و التاريخ و غيرها،توفي سنة **597ه**

[2] الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم **ص19-20** بتصرف.

[3] السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان **ص89**

بين ذلك وُسْطَاهُنَّ، وسْطى؛ الفعلى من قول القائل: وسطْتُ القوم أوسطُهُم " **وسطةٌ و وَسُوطَا**"إذا دخلتُ وسطهم...[1]

4- أما **سيد قُطب** فيقول: "أن **الصلاة الوسطى** ، فالأرجح من مجموع الروايات أنها صلاة العصرِ...و تخصيصها بالذكر ربما لأن وقتها يجيء بعد نومةِ القيلولة و قد تفوت المُصلّي...[2]

5- أما **رشيد رضا فلا** يُحدِّد أيَّة صلاةٍ من الصلوات الخمس فيقول:" و الصلاة الوسطى: هي إحدى الخمس، و الوسطى؛مؤنث الأوسط، و يستعمل بمعنى التوسُّط بين شيئين أو أشياءٍ لها ظرفان متساويان و بمعنى الأفضل، و بكل من المعنيين قال قائلون، و لذلك اختلفوا في أي الصلوات أفضل و أيتها المتوسطة".[3]

من خلال التفسيرات التي أوردناها ، نلحظ الإرتباط بين هذه الكلمة " الوُسْطَى"و بين موضوع "الوسطية" سواء كانت بمعنى التوسط بين شيئين أو بمعنى الخيار الأفضل، كما نلحظ أنه رغم اختلافهم في الصلاة المقصودة إلا أنهم اصطلحوا على مزاياها و أفضليتها، و ما ذكرناه من أقوال المفسرين ليس إلا بالجزء اليسير من الكمِّ الهائل الذي ذُكر في هذا السياق ، و سنكشف فيما يلي أهمية الوسطية من خلال ما تبقى من الألفاظ الدالة عليها، تصريحاً في المواضع التي سبق ذكرها.

[1] الطبري، تفسير الطبري،ج2 ص**567**
[2] سيد قطب، في ظلال القرآن ص**258**
[3] الصلَّابي، الوسطية في القرآن الكريم **ص23.**

ثالثا: أَوْسَط :

في قوله تعالى: {من أوسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُم } وقد وردت هذه الكلمة في **سورة القلم** في قوله تعالى: { قَالَ أَوْسَطُهُم أَلَم أَقُلْ لَكُم لَوْلَا تُسَبِّحُون }.

وقد ذكر المفسرون معنى كل كلمة في مواضعها، فمنهم من جعل معناها واحدا، ومنهم من فرق بين مدلوليهما، وسنأخذ بعض أقوال المفسرين حسب ما أوردوه في بطون تفاسيرهم.

1- لفظة أوسط الواردة في سورة المائدة :

1- يفسر الطبري قوله تعالى : { من أوسط } " أي أعدل، في حين يقول بعضهم بأن المقصود من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذي يقتاته أهل بلدة المكفر أهليهم، وقال آخرون : من أوسط ما يطعم المكفر أهله"[1].

2 ـ كما جاء في **تفسير الجلالين** " { من أوسط ما تطعمون } منه { أهليكم } أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه "[2]

3 ـ وقال **الزمخشري** : { من أوسط } من أقصده لأن منهم يسرف في إطعام أهله، ومنهم من يقتر[3]

4 ـ وقال **القرطبي**: تقدم في سورة البقرة، أن الوسط بمعنى الأعلى والخيار، وهو هنا بمنزلة بين المنزلتين، ونصفر بين الطرفين"[4].

5 ـ كما ذكر **سيد قطب** في ظلال القرآن : " وأوسط تحمل من أحسن، أو من متوسط، فكلاهما من معاني اللفظ، وكان الجمع بينهما لا يخرج عن القصد، لأن المتوسط هو الأحسن في ميزان الإسلام."[1]

---

[1] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج7, ص16 -22.
2- السيوطي، تفسير القرآن الكريم (تفسير الجلالين). دار الفكر، بيروت، لبنان ط1 1425-1426-2005 ص122
[3]- الزمخشري، الكشاف ،ج1، ص 640.
[4] ـ القرطبي، تفسير القرطبي، ج6، ص276.

2 ـ لفظة " أوسطهم " الواردة في سورة القلم:

1 ـ يذكر **الطبري** في تفسيره هذه الآية:" ...أي أعدلهم قولا، وكان أسرع القوم. فزعا، وأحسنهم رجعة"[2].

2 ـ وقال **السعدي** : { أوسطهم } أي أعدلهم وأحسنهم طريقة"[3].

3 ـ وقال **ابن كثير** : " قال { أوسطهم } أعدلهم وخيرهم"[4] .

4 ـ وقال **القرطبي** : " { قال أوسطهم } أي أمثلهم وأعلمهم وأعقلهم "[5] .

5 ـ وفي **تفسير الجلالين** : { قال أوسطهم } أي خيرهم [6].

[1]ـ سيد قطب، في ظلال القرآن ج 2، ص 971.
[2] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج29، ص34.
[3]ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم ص 27 ـ 28 .
[4] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 406.
[5] ـ القرطبي، في تفسير القرطبي،ج 18، ص 244 .
6 ـ جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، مكتبة الصف ط1 سنة 2004 ص 565

رابعا : لفظة "وسطن" :

في قوله تعالى : { فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا }

اتفق جل المفسرين على أن معناها من التوسط في المكان فمن أقوالهم[1] :

1 ـ قول **الطبري** : يقول تعالى بذكره : فوسطن بركبانهن جمع القوم[2] .

2 ـ ويقول **القرطبي** : " أي فوسطن بركبان العدو، يقال وسطت القوم أي صرت وسطهم"[3]

3 ـوقال **السعدي**: أي بركباهن جمعا أي توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم "[4] .

4 ـ وقال **سيد قطب**:" وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة ، فتوقع بينهم الفوضى والإضراب[5]".

5 ـ وقال **السيوطي**: {فوسطن} بالنقع، {جمعا} من العدو أي صرن وسط"[6].

جاءت كلمة **"وسطن"** لتعني التوسط والوسط، وهذا ما وجدناها في التفاسير المذكورة.

[1] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم ص 27 ـ.
[2] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج 29 ص 34.
[3] ـ القرطبي، تفسير القرطبي، ج 18 ص 244 .
[4] ـ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص891.
[5] ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص2958.
[6] ـ السيوطي، تفسير الجلالين، ص599.

تحرير معنى الوسطية

وخلاصة قولنا في معنى الوسطية:

من خلال ما سبق من معاني الوسطية التي أوردناها اتضح لنا أنها تستعمل في مواضع عديدة أهمها " الخيار والأفضل والعدل، وقد ترد لما بين شيئين فاضلين. وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر، وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسا،كوسط الطريق، ووسط العصا، وقر تأتي لمعان أخرى قريبة من هذه المعاني. [1] ويمكن أن نقدم تعريفا محددا، نذكر ما ذكره فريد عبد القادر في قوله :"الوسطية هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين وإقامة الحجة عليهم ... ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطا في الإصلاح أن يكون له طرفان. فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب."[2]

بيد أني لا أرى أن لا تعارض ولا تضارب إذا سلمنا أن العدل وسط الظلمين، ظلم الإفراط، وظلم التفريط، على سبيل المثال : العدل بين الأبناء واجب حتى في التقبيل، وضده أن نفرط في تقبيل أحد ونفرط بتقبيل آخر. ونفس الأمر مع الصدق الذي يعد وسطا بين كتمان الحق والكذب. " إن المتأمل في ما ورد في القرآن والسنة والمأثور من كلام العرب فيما أطلق ه وأريد به مصطلح الوسطية يتضح له أن المصطلح لا يصلح إطلاق إلا إذا توافرت فيه صفتان :

1 ـ الخيرية : أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.

2ـ البينية : سواء كانت حسية أو معنوية."[3]

ويشير فريد عبد القادر أنه إذا " جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلا في مصطلح الوسطية. والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية، أي أن كل أمر يوصف بالخيرية فهو وسط

[1] ـ الصلابي . الوسطية في القرآن الكريم ص 30
[2] ـ ناصر العمر . الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص 28.
[3] ـ الصلابي. الوسطية في القرآن الكريم ص 31

فيه نظر، والعكس هو الصحيح. فكل وسطية تلازمها الخيرية فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس فلا بد مع الخيرية من البينية حتى تكون وسطا."[1]

فالمقصود من هذا الكلام أنه لا وصف للخيرية بالوسطية دون حضور البينية، كما أنه لا وسطية من غير خيرية .

والأمر سيان مع البينية " فليس كل شيئين أو أشياء يعتبر وسيطا وإن كان وسطا، فقد يكون التوسط حسيا أو معنويا، ولا يلزم بالوسطية، كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك، ولكن كل أمر يوصف بالوسطية، فلا بد أن بين حس أو معنى."[2]

إذا نخلص إلى أنه: لا بد من تلازم الخيرية والبينية من أجل تحقيق الوسطية، فأي أمر اتصف بكلا الوصفين دون الآخر فلا يصح القول عنه كذلك.

[1] ـ الصلابي . الوسطية في القرآن الكريم ص 31
[2] ـ ناصر بن سليمان العمر . الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص 30

المبحث الثالث:أسس فهم الوسطية

ليتضح لنا مفهوم الوسطية جليا، لابد من أن نتطرق إلى أسس تساهم في تجديد معانيها و ذلك من خلال التعرف على معاني هذه الأسس مطردة مع شرطي الخيرية الخيرية و البينية و هذه الأسس تتمثل في:

1-الغلو و الإفراط.

2-الجفاء و التفريط.

3-الصراط المستقيم.

فالصراط المستقيم و هو وسط بين الغلو و الجفاء أو الإفراط و التفريط كما يمثل الخيرية و تحقق معناها و بذلك يتحقق في الصراط المستقيم أمران من لوازم الوسطية هما البينية و الخيرية.[1]

سنقف عند هذه الأسس مبتدئين بالغلو و الإفراط ثم الجفاء، و التفريط، وبعدها الصراط المستقيم مستندين في تحديد معانيها على الخطاب القرآني و السنة المبينة لذلك ثم كلام المفسرين و غيرهم من العلماء.

[1] علي محمد الصلابي، الوسطية في القران الكريم، ص 35.

أولا: الغلو و الإفراط

1-الـــــغـــلـــــو:

أ-الغلو في اللغة: يدل على مجاوزة الحد منه قول ابن فارس:الغين و اللام و الحرف المعتل، أصل صحيح يدل على ارتفاع و مجاوزة قدر، يقال غلا السعر يغلو غلاء و ذلك ارتفاعه، و غلا الرجل في الأمر غلوا: إذا جاوز حده، و غلا بسهمه غلوا إذا رمي به سهما أقصى غايته "[1]، و كذا جاء في **الصحاح** و غلا في الأمر يغلو غلوا أي؛ جاوز حده"،[2] وفي لسان العرب قال ابن **منظور** و غلا في الدين و الأمر يغلو: جاوز حده و في التنزيل { لا تغلوا في دينكم } النساء 171"، [3] قال في موضع آخر: " غلوت في الأمر غلوا و علانية و علانيا إذا جاوزت فيه الحد و أفرطت فيه" و غلا السهم نفسه: ارتفع في ذهابه و جاوز المدى و كله من الارتفاع و التجاوز و يقال للشيء إذا ارتفع قد غلا و غلا البنت: ارتفع و عظم.[4]

-هذا في تعريف الغلو من حيث الاشتقاق فالملاحظ أن اللغويين اجمعوا على إعطائه مدلولا موحدا و هو مجاوزة الحد و قد ورد هذا اللفظ (الغلو) في القرآني في آيتين فيهما النهي عنه بلفظه الصريح.

ب-الغلو في الخطاب القرآني

"ورد لفظ الغلو في موضعين من القران الكريم و كلاهما بمعنى مجاوزة الحد و هو المعنى اللغوي للكلمة" [5]سنذكر الآيتين مع ذكر ما قاله المفسرون في شأنهما:

- أما الموضع الأول فجاء في سورة النساء في قوله تعالى: { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق} النساء 171.

[1] ابن فارس مقاييس اللغة ج4 ص 387-388.
[2] الجوهري الصحاح ج6 ص 2447.
[3] ابن منظور لسان العرب فصل الغبن باب غلا ج15 ص 132
[4] المرجع نفسه ص 131.
[5] محمد با كريم ،وسطية أهل السنة بين الفرق، ص 24.

قال **الإمام الطبري** في تفسير هذه الآية" لا تجاوزوا الحق في دينكم فتعزموا فيه و أصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده يقال منه في الدين غلا فهو بغلو غلوا"[1]

و قال **السعدي** في تفسير كلام المنان:"ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدنيا و هو مجاوزة الحد و القدر المشروع إلى ما ليس بمشروع و ذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليهم السلام و رفعه عن مقام النبوة و الرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله فكلما إن التقصير و التفريط من المنهيان فالغلو كذلك ..." [2]،و هذا ما ذهب إليه ابن كثير في قوله:"ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو و الإطراء و هذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياه... بل غلوا في أتباعه و أشياعه ممن رغم انه على دينه فادعوا فيهم العصمة و اتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا قال تعالى:{اتخذوا و أحبارهم و رهبانهم و أربابا من دون الله} التوبة 31."[3]

-أما الموضع التالي فجاء في سورة المائدة في قوله تعالى:{قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبّعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و صلوا عن سواء السبيل} المائدة 77. و في تفسير هذه الآية قال **الطبري**: لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"[4] وقال السعدي في تفسيره :"أي لا تتجاوزوا ولا تعتدوا الحق الباطل, و ذلك كقولهم في المسيح. ما تقدم حكايته عنهم "[5] "ومن غلو النصارى ما ذكره الله في سورة الحديد {ثم قفينا على أثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما دعوها حق رعايتها } الحديد27[6]"قال **ابن كثير** في تفسير آية المائدة {قل يا أهل الكتاب ألا تغلوا في دينكم غير الحق} المائدة 77

[1] تفسير الطبري، ج6 ص 43.
[2] السعدي، تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 212.
[3] ابن كثير تفسير القران العظيم، ج1 ص 589.
[4] تفسير الطبري،ج6ص579.
[5] السعدي –تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام ،منانص237.
[6] الصلابي الوسطية في القرءان الكريم ص 37.[6]

"أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق, ... من أمرتهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الالوهية , كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء وجعلتموه إلها من دون الله ."[1]

إذن من خلال بعض نماذج من تفسير الآيتين تبين أن لفظ الغلو في الخطاب القرآني لا يخرج معناه عن المعنى اللغوي وهو "مجاوزة الحد " كما يتبين بوضوح إن الله سبحانه وتعالى في خطابه الجليل ينهانا عن اللغو في الدنيا , بل وينفر اشد النفور و يحذر اشد التحذير , هذا ما جاء في الخطاب القرآني إما السنة النبوية , فجاءت هي الأخرى حافلة بأحاديث تنهى عن اللغو ,وفيما يلي ذكر لبعضها بغية الوصول إلى فهم دقيق بمعنى اللغو ولتتبين بعد ذلك علاقته بالوسطية ,وهي النقطة المقصودة في هذا العنصر.

نذكر ما جاء في صحيح البخاري عن" أبي هريرة [2] "رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إن هذا الدين يسر ,ولن يشاد الدين احد إلا غلبه ,فسددوا ,وقاربوا وابشروا ,واستعينوا بالغدوة والروحة وشي ، من الدلجة ."قال ابن حجر[3] رحمه الله :والمعنى لا يتعمق احد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز و انقطع فيغلب [4]، "و في حديث أخر أخر ما رواه **الإمام أحمد**"[5]رحمه الله في مسنده أن رسول الله صلى عليه وسلم قال"اقرؤوا القرآن و لا تأكلوا به و لا تستكثروا به و لا تجفوا عنه و لا تغلوا فيه"[6]

هاته الأحاديث ترشدنا إلى أن الغلو خروج عن المنهج و تعد للحد، و هو مخالفة كما أذن الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم ،فجاءت الأحاديث في هذا السياق

[1] ابن كثير .تفسير القرءان العظيم ج2ص82.

[2]هوعبد الرحمان بن صخر الدوسي أبو هريرة رضي الله عنه صاحب رسول صلى الله عليه وسلم و نقيب أهل الصدفة حمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علما كثيرا حدث عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين.

[3]هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين من أئمة العلم و من أشهر العلماء ولد بالقاهرة عام 773ه و أقبل على الحديث و رحل في طلب العلم حتى أصبح حافظ الاسلام في عصره وولي القضاء في مصر ثم اعتزل توفي بالقاهرة سنة 852 ه.

[4] البخاري مع فتح الباري كتاب الامام باب الدين يسر 116/1.

هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ولد ببغداد سنة 162ه هو امام االهل السنة في عصره توفي 241ه.[5]

[6] أخرجه أحمد في مسنده (3/428-444) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم 1168.

كثيرة، فليس هدفنا حسرها بل اكتفينا بذكر ما يخدم ما نحن بصدده و هو تحديد معنى اللغو و مفهومه، و من ثم علاقته بالوسطية التي هي مركز بحثنا هذا، و إضافة على الآيتين و الأحاديث نذكر تعريفات علماء المسلمين لمعنى اللغو يعرفه **ابن تيمية** رحمه الله الغلو مجاوزة الحد "يعرفه ابن تيمية [1]"رحمه الله –الغلو مجاوزة الحد مجاوزة بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق و نحو ذلك ،أما ابن حجر . رحمه الله .يعرفه بقوله الغلو :المبالغة في الشيء و التشديد فيه يتجاوز الحد ،و ضابط الغلو هو التعدي على ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى عنه الله في قوله تعالى: {و لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضب}طه 81"[2].

من خلال تعريف العلماء، يتبين لنا أن معنى الغلو هو نفسه الذي أفاده الموضعية من الخطاب القرآني و في الأحاديث النبوية و هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع .و ذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده و قصده الشارع العليم.

"فهو في سائر استعمالاته يدل على التطرف و التنطع و التشدد و العنف "[3]

أ -التطرّف :يعرفه **القرضاوي** :"في **اللغة** معناه الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط و أصله في الحقيقة كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي .ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك "[4]

ب -التنطع :"هو مأخوذ من النطع .وهو الغار الأعلى في الفم الذي يظهر عندما يتعمق الإنسان و يتشدق، ثم استعمل في كل تعمق سواء أكان في القول أم الفعل "[5]،و في الحديث

.هو شيخ الاسلام و حافظ الدين المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضربن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي .ولد بحران يوم [1]الاثنين (10-03-661ه)و توفي ليلة الاثنين 20 من ذي القعدة 728ه.

[2]-الصلابي، الوسطية في القران الكريم ص39-40.

[3]-صلح بن غانم السدلان .مفهوم الغلو في الكتاب و السنة.ص133.

[4]-القرضاوي .الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف.ص23.

[5]-صالح بن غانم السدلان .مفهوم الغلو في الكتاب و السنةص133.

النبوي ،عن ابن مسعود رضي الله عنه[1] قال :قال رسول الله عليه وسلم "هلك المتنطّعون"قالها ثلاثا"،أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم و أفعالهم "[2]

ج- التشدد: "و هو دال على القوة و الصلابة، فالشين و الدّال أهل يدل على قوة في الشيء و المشاداة المغالبة و المقاومة ،و المشاداة في الشيء التشدد فيه "[3].

د- العنف :"العين و النون و الفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق و العنيف :الشديد من القول و الفعل.

"و بالنظر إلى هذه الألفاظ تجد تقاربا بينها و بين الغلو، فهي بمثابة أوصاف، و مظاهر للغلو و كلها ما عدا التطرف قد وردت في النصوص الشرعية في الكتاب و السنة".[4]

و بعدما تبين لنا معنى الغلو لغة و شرعا و عند العلماء و الألفاظ المتعلقة به،نتطرق إلى أحد أسس الوسطية **الإفراط** موضحين معناه و علاقته بالغلو.

-هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمان .أسلم قديما ،و هاجر الهجرتين و شهد بدرا و المشاهد كلها [1].مات رضي الله عنه سنة32ه.

[2]-شرحه محمد فؤاد عبد الباقي.

[3]-الزمخشري .أساس البلاغة.

[4]-صالح بن غانم السدلان .مفهوم الغلو في الكتاب و السنة ص134.

2- الإفراط :

-جاء **الإفراط** في اللغة بمعنى :التقدم ومجاوزة الحد .

كقول **ابن فارس :**"قال :أفرط :إذا تجاوز الحد في الأمر، و يقولون :إياك و الفرط، أي لا تجاوز القدر، و هذا هو القياس، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته "[1] و جاء في الصحاح قول **الجوهري** :"و أفرط في الأمر ،أي جاوز في الحد "[2]

و في **لسان العرب** :الإفراط الإعجال و التقدم و أفرط في الأمر :أسرف، و الإفراط :الزيادة على ما أمرت "[3]".

و الفرطة بالضم –اسم للخروج و التقدم، و منه قول **أم سلمة[4] (لعائشة)[5]**، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاك عن الفرطة في البلاد، في رواية :نهاك عن الفرطة في الدين؛ يعني السبق و التقدم و مجاوزة الحد."[6]و في الخطاب القرآني قوله تعالى في صورة طه {إّننا {إّننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى }طه من الآية 45،قال الطبري :-رحمه الله :و أما الإفراط فهو الإسراف و الإشطاط و التعدي، يقال منه: أفرطت في قوتك ،إذ أسرف فيه و تعدى، و أما التفريط فهو التواني ،يقال منه فرطة في هذا الأمر حتى فان ،إذ تواني فيه"[7]

نخلص من هذه التعريفات أن معنى الإفراط :هو تجاوز الحد ،و التقدم عن القدر المطلوب شأنه شأن الغلو الذي يفيد نفس المعنى، و قد فسر الغلو بالإفراط، كما تبين لنا أيضا أن كلا من الغلو و الإفراط هو خروج عن **الوسطية**، فكل أمر يستحق وصف الغلو و الإفراط فليس من **الوسطية** في شيء .و بذلك تقرب إلينا مفهوم الوسطية و للتعرف أكثر عليها ننتقل إلى الأسس المتبقية .

---

[1]-ابن فارس ،مقاييس اللغة ، كتاب الفاء و الراء .ج4 ص490.

[2]-الجوهري ،الصحاح ،مادة فرط ج3ص1148.

[3]-ابن منظور ،لسان العرب ،فصل الفاء-باب فرط ج7ص369.

[4]- هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة .المخزومية من أمهات المؤمنين دخل بها رسول صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة بعد وفاة أبي سلمة رضي الله عنه و كانت اخر أمهات المؤمنين ،عاشت نحو من 90سنة ،توفيت سنة61ه .

[5]-هي عائشة بنت الامام الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه- اليتيمية القريشية أم المؤمنين ،زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،أفقه نساء الأمة على الاطلاق ،توفيت عام 58ه.

[6]-ناصر بن سليمان العمر ،الوسطية في ضوء القران الكريم ص44.

[7] -تفسيرالطبري ج16ص170.

ثانيا :التفريط و الجفاء:

بعدما تعرفنا على الغلو و الإفراط نقف عند ما يقابلهما :

1 ـالتفريط :جاء في **لسان العرب** أن التّفريط في **اللغة** ،هو:**التضييع**، و في حديث **علي رضي الله عنه** (لَا يُرَى الجَاهل إِلَّا مُفَرِّطًا أَو مُفْرِطًا) ،وهو بالتخفيف المسرف في العمل ، و بالتشديد المقصر فيه، و فرط في الأمر يفرط فرطا أي: قصر فيه و ضيعه حتى فان كذلك التفريط"[1]،و في قول **ابن فارس** :"و كذلك التفريط ، و هو التقصير :لأنه إذا قصر فيه فقد قعد عن رتبته التي هي له "[2]، و في قول **ابن منظور** أيضا :"و فرّط في الشّيء و فَرَّطه ضيعه و قدم العجز فيه "[3]، و كذلك قال **الجوهري** :"فرط في الأمر فرطا ، أي قصر فيه و ضيعه حتى فان .و كذلك التفريط "[4]،إذن فالتفريط في اللغة يدل على التقصير و التضييع.

- و قد وردت مادة **فَرَطَ** في الخطاب القرآني في ثمانية مواضع" [5].

منها قوله تعالى في سورة الأنعام: {قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا خسرتنا على ما فرطنا فيها }الأنعام 31،.قال **الطبري** في تفسير هذه الآية :"يقول يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها ... و قيل **فرطنا** أي؛ جعلنا غير الفارط السابق لنا إلى طاعة الله و تخلفنا" [6]، و في موضع آخر قال تعالى في سورة الأنعام :{ما فرَّطنا في الكتاب من شيء }الأنعام 31، قال **الطبري**"ما ضيعنا إثبات شيء منه" [7]، و قال **السعدي** في تفسيره "أي ما أهلنا و لا أعقلنا في اللوح المحفوظ شيئا من الأشياء"[8].و من المواضع قوله تعالى{حتى إذا جاء أحدكم الموت توقته رسلنا و هم لا يفرطون} الأنعام61.

---

[1]-ابن منظور ،لسان العرب ،فصل الفاء ،باب فرط ج7ص369.

[2]-ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج4ص490.

[3]-ابن منظور ،لسان العرب ،ج7ص370.

[4]-الجوهري ،الصحاح ،ج3ص1148.

[5]المواضع التي وردت فيها مادة **فرط**هي :سورة الأنعام (31،38،61) ،و الاية 80من سورة يوسف و الاية 62 من سورة النحل ،و 28من سورة الكهف ،و 59من سورة الزمر ،و الاية 45من سورة طه .

[6]-تفسير الطبري .ج7ص178.

[7] تفسير الطبري،ج07 ص 188

[8] تفسير السعدي ص 251.

قال الطبري"....أوله المتأولون في هذا الموضع،قال ابن عباس رضي الله عنه "لا يفرطون":لا يضيعون".[1]

و في سورة يوسف قال تعالى{ومن قبل فرطتم في يوسف }يوسف80،أي؛" فرطتم في شأنه" [2].

و في سورة النحل قوله تعالى: {و تجعلون لله ما يكرهون و تصدق ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار و أنهم مفرطون} النحل62. قال بعض المفسرين:" إنهم معجلون إلى النار مقدمون إليها، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب:أفرطنا فلانا في طلب الماء إذا قدموه لإصلاح الدلاء، و قيل غير ذلك، و رجح **الطبري** أن معنى مفرطون مخلفون منكرون في النار مسبون فيها"[3].

و في موضع أخر قال تعالى في سورة الكهف{ و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا}الكهف28. قال **الطبري**: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب . قول من قال معناه: ضياعا و هلاكا، ومن قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا ، إذا أسرف فيه و تجاوز قدره. و كذلك قوله تعالى {و كان أمره فرطا } معناه:و كان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا الرياء و الكبر، و احتقار أهل الإيمان. سرفا فقد تجاوز حده فضيع بذلك الحق و هلك ."[4]

و في سورة الزمر قال تعالى:{ أن تقول نفسي يا حصرتا على ما فرطت في جنب الله و إن كنت لمن الساخرين} الزمر56 .قال الطبري في تفسيره :"يقول :على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به و قصرت في الدنيا في طاعة الله."[5]

[1] تفسير الطبري ح07 ص 188.
[2] الصلابي الوسطية في القرءان الكريم ص46.
[3] تفسير الطبري ج14 ص177.
[4] تفسير الطبري ح15ص236
[5] المرجع نفسه ح 24 ص19.

و أخر موضع ورد في سورة طه في قوله تعالى:{ قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى}طه 45.قال السعدي في تفسيره "أي يبادرن بالعقوبة والإيقاع بنا، قبل أن يبلغه رسالتك و نقيم عليك الحجة"[1]

هته هي المواضع التي وردت فيها مادة فرط وهي-حسب اقوال المفسرين –تدل على الترك والتهاون، والتقصير والتضييع مع اختلاف بسيط بين مدلول هذه المعاني وكلها في مقابل الإفراط والغلو.

2- الجفاء:

و الجفو في اللغة: خلاف البر و الجفاء:ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاف، قال **ابن فارس** ،"الجيم و الفاء و الحرف المعتل :يدل على أصل واحد: بنو الشيء عن الشيء. من ذلك جفوت الرجل اجفوه...وجف السرج عن ظهر الفرس ، وأجفيته أنا و كذلك كل شيء إن لم يلزم شيئا قال :جفا عنه تجفو ..."[2]، و في **لسان العرب**:"جفا الشيء يجفو جفاء و تجافى : لم يلزم مكانه، كالسرج يجفو عن الظهر، و الجبن يجفو عن الفراش...[3]، وقد وردت هذه المادة في الخطاب القرآني في سورة الرعد في قوله تعالى{ كذلك يضرب الله الحق و الباطل فأما الزبد فيذهب جفاء}.**قال الطبري**:"زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله،" فبذهب جفاء "تشفه الأرض، و قال:يقال:جفا الوادي و أجفا، في معنا نشف"[4]

و في موضع أخر قال تعالى في سورة السجدة ، {تتجافى جنوبهم عن المضاجع}السجدة16 قال الطبري:" تتجافى تتفاعل من الجفاء ، و الجفاء:النبو و إنما وصفهم تعالى ذكره بالتحافي في جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة...أن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن المضاجع ليلا شغلا منهم بدعاء ربهم و عبادته خوفا و طمعا ،و ذلك بنبو جنوبهم عن المضاجع ليلا..."[5]من خلال التعريفات اللغوية و تفسير

---

[1] تفسير السعدي ص502

[2] ابن فارس،مقاييس اللغة كتاب الجيم ،باب الجيم و الفاء، مادة جفو ج 1 ص465.

[3] ابن منظور لسان العرب فصل الجيم باب جفا ، ج1ص49.

[4] تفسير الطبري، ج 13ص137

تفسير الطبري ج 21 ص99-102-

[5] ابن منظور لسان العرب فصل الجيم باب جفا ، ج1ص49.

[5] تفسير الطبري، ج 13ص137

الآيتين يتضح لنا أن الجفاء هو النبو و الترك و البعد و هو غالبا ما يتحدث خلاف الأصل و العادة ،و أكثر ما تستعمل كلمة جفاء لما هو محرم منهي عنه كالجفاء بما يقابله الصلة و البر، و الجفاء الذي هو من الشدة و الغلظة... إلا أن عند التأمل في استعمال العرب لهما يلاحظ أن الجفاء يستعمل غالبا فيما فيه قصد الأمر و الترك و البعد و سوء الخلق ، أما التفريط فمنشؤه غالبا التساهل و التهاون"[1]

و في الأخير نخلص إلى أن كل أمر يتصف بالتفريط و الحق: فانه مخالف **للوسطية** ،فبمقدار اتصافه لهما يكون بعده عن **الوسطية.**

لقد تعرفنا في العنصرين السابقين على معنى الغلو و الإفراط و ما يقابلهما من التفريط و تنبين لنا أنهما ليسا من الوسطية في شيء، و فيما يلي سنتعرف على الأساس الموجود بينهما و هو الصراط المستقيم.

[1] الصلاة الوسطية في القرءان الكريم ص 48-49 بتصرف

ثالثا:الصراط المستقيم

ثالث الأسس التي نتناولها لفهم الوسطية **" الصراط المستقيم"**، فلا نستطيع أن نفهم **الوسطية** على معناها الصحيح، دون أن نفهم معنى **الصراط المستقيم** هذا الأخير الذي ذكر عشرات المرات في الخطاب القرآني،"فجاء أيضا بلفظ {صراطا مستقيما} الفتح02 و {صراطك المستقيم} الأعراف16و { و صراطي مستقيما} الأنعام 153 و نحو ذلك"[1] سيأتي ذكرنا فيما يلي لبعض من النماذج و بعدها تفسير المفسرين في الصراط المستقيم.

في سورة الفاتحة قال تعالى: { اهدنا الصراط المستقيم} الفاتحة06... ثم يفسره بأنه {صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين}الفاتحة 07

و في سورة البقرة قوله تعالى:{يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} البقرة من الأية142. و جاء بعد هذه الآية مباشرة:{و كذلك جعلناكم أمة وسطا}البقرة 143.

و في سورة آل عمران قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام:{إنَّ الله ربي و ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم} عمران 51.

"و نجد سورة الأنعام من أكثر السور التي ورد فيها الحديث عن الصراط المستقيمّ"[2] {من يشأ الله يظلله و من يشأ يجعله على صراط مستقيم}الأنعام 39، و في قوله تعالى و اجتبيناهم و هديناهم إلى صراط مستقيم } الأنعام 87 ،و في موضع أخر قال تعالى{و هذا صراط ربك مستقيما }الأنعام 126، {و أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه}الآية 153 ، و قوله جل علاه:{قل ان هداني ربي إلى صراط مستقيم }الأنعام 161.

وفي سورة إبراهيم سماه **صراط العزيز الحميد** في قوله جل علاه: {لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد } إبراهيم 01, وفي سورة طه ,وصفه سبحانه وتعالى **بالسوي** فقال {فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى} طه 135...وغيرها من المواضع التي ورد فيها الصراط المستقيم الذي عرفة الطبري في

[1] الصلابي،الوسطية في القرءان الكريم، ص50

[2] ناصر العمر ، الوسطية في ضوء القرءان الكريم ص52.

تفسيره" في قوله تعالى:{اهدنا الصراط المستقيم }، أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا؛ على أن الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذك في لغة جميع العرب"[1]، كما قال في موضع آخر إنما" وصفه الله بالاستقامة لأنه صواب لا خطأ فيه"[2]

أقوال المفسرين في الصراط المستقيم:

قال ابن كثير: " اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله ورسوله."[3] ، ومن أقوال المفسرين نذكر: ابن كثير في تفسيره: " قال علي: الصراط المستقيم: كتاب الله تعالى وبمثل ذلك فسره عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: اهدنا الصراط المستقيم الإسلام، قال هو: أوسع مما بين السماء والأرض ، وقال ابن عباس: ذلك الإسلام ، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هو الطريق"[4].

[1] ـ الطبري، تفسير الطبري،ج 1،ص73.
[2] ـ المرجع نفسه,ص74.
[3] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج1,ص27.
[4] ـ المرجع نفسه، ص20.

المبحث الثالث:اسس فهم الوسطية

ليتضح لنا مفهوم الوسطية جليا، لابد من ان نتطرق الى اسس تساهم في تجديد معانيها و ذلك من خلال التعرف على معاني هذه الاسس مطردة مع شرطي الخيرية الخيرية و البينية و هذه الاسس تتمثل في:

1-الغلو و الافراط.

2-الجفاء و التفريط.

3-الصراط المستقيم.

فالصراط المستقيم و هو وسط بين الغلو و الجفاء او الافراط و التفريط كما يمثل الخيرية و تحقق معناها و بذلك يتحقق في الصراط المستقيم امران من لوازم الوسطية هما [1]البينية و الخيرية.

سنقف عند هذه الاسس مبتدئين بالغلو و الافراط ثم الجفاء و التفريط الصراط المستقيم مستندين في تحديد معانيها على الخطاب القراني و السنة المبينة لذلك ثم كلام المفسرين و غيرهم من العلماء.

اولا: الغلو و الافراط

1-الغلو:

أ-الغلو في اللغة: يدل على مجاوزة الحد منه قول ابن فارس:«الغبن و اللام الحرف المعتل اصل صحيح يدل على ارتفاع و مجاوزة قدر يقال غلا السعر يغلو غلاء و ذلك ارتفاعه و غلا الرجل في الامر غلوا: اذا جاوز حده و غلا بسهمه غلوا اذا رمي به سهما اقصى غايته [2] و كذا جاء في الصحاح و غلا في الامر يغلو غلوا اي جاوز حده» [3] و في لسان العرب قال ابن منظور «و غلا في الدين و الامر و الامر يغلو: جاوز حده و في التنزيل {لا تغلوا في دينكم} النساء 171» [4]قال في موضع اخر:«غلوت في الامر غلوا و علانية و علانيا اذا جاوزت فيه الحد و افرطت فيه» و غلا السهم نفسه: ارتفع في ذهابه و جاوز المدى و كله من الارتفاع و التجاوز و يقال للشيء اذا ارتفع قد غلا و غلا البنت: ارتفع و عظم.[5]

[1] علي محمد الصلابي، الوسطية في القران الكريم، ص 35.
[2] ابن فارس مقاييس اللغة ج4 ص 387-388.
[3] الجوهري الصحاح ج6 ص 2447.
[4] ابن منظور لسان العرب فصل الغبن باب غلا ج15 ص 132
[5] المرجع نفسه ص 131.

-هذا في تعريف الغلو من حيث الاشياق فالملاحظ ان اللغويين اجمعوا على اعطائه مدلولا موحدا و هو مجاوزة الحد و قد ورد هذا اللفظ (الغلو) في القراني في ايتين فيهما النهي عنه بلفظه الصريح.

ب-الغلو في الخطاب القراني:

«ورد لفظ الغلو في موضعين من القران الكريم و كلاهما بمعنى مجاوزة الحد و هو المعنى اللغوي للكلمة» [1]سنذكر الآيتين مع ذكر ما قاله المفسرون في شانهما:

- أما الموضع الأول فجاء في سورة النساء في قوله تعالى: { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله الا الحق} النساء 171.

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية«لا تجاوزوا الحق في دينكم فتعزموا فيه و أصل الغلو في كل كل شيء مجاوزة حده يقال منه في الدين غلا فهو بغلو غلوا»[2]

و قال السعدي في تفسير كلام المنان:«ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدنيا و هو مجاوزة الحد و القدر المشروع إلى ما ليس بمشروع و ذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليهم السلام و رفعه عن مقام النبوة و الرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله فكلما إن التقصير و التفريط من المنهيان فالغلو كذلك ...» [3]و هذا ما ذهب إليه ابن كثير في قوله: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو و الإطراء و هذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياه... بل غلوا في أتباعه و أشياعه ممن رغم انه على دينه فادعوا فيهم العصمة و اتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا او باطلا قال تعالى:{اتخذوا و أحبارهم و رهبانهم و أربابا من دون الله} التوبة 31.»[4]

-أما الموضع التالي فجاء في سورة المائدة في قوله تعالى:{قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و اضلوا كثيرا و صلوا عن سواء السبيل} المائدة 77. و في تفسير هذه الاية قال الطبري: لا تفرطوا في القول فيما

تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فية الحق الى الباطل فتقولوا فيه هو الله او هو ابنه ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه"[5] وقال السعدي في تفسيره :"أي لاتتجاوزوا ولاتتعدوا الحق الباطل,و ذلك كقولهم في المسيح . ما تقدم حكايته عنهم"[6]

[1] محمد ب كريم وسطية اهل السنة بين الفرق ص 24.
[2] تفسير الطيري، ج6 ص 43.
[3] السعدي، تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 212.
[4] ابن كثير تفسير القران العظيم، ج1 ص 589.
[5] تفسير الطبري،ج6ص579.
[6] السعدي –تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام ،منانص237.

"ومن غلو النصارى ماذكره الله في سورة الحديد "ثم قفينا على أثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما دعوها حق رعايتها " الحديد27[1]"قال ابن كثير في تفسير اية المائدة "قل يا أهل الكتاب الا تغلوا في دينكم غير الحق " المائدة 77 "أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق, ... من أمرتهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الالاهية , كما صنعتم في المسيح , وهو نبي من الأنبياء وجعلتموه إلاها من دون الله ."[2]

اذن من خلال بعض نماذج من تفسير الآيتين تبين ان لفظ الغلو في الخطاب القرآني لا يخرج معناه عن المعنى اللغوي وهو "مجاوزة الحد " كما يتبين بوضوح إن الله سبحانه وتعالى في خطابه الجليل ينهانا عن اللغو في الدنيا , بل وينفر اشد النفور و يحذر اشد التحذير , هذا ما جاء في الخطاب القرآني إما السنة النبوية , فجاءت هي الأخرى حافلة بأحاديث تنهى عن اللغو ,وفيما يلي ذكر لبعضها بغية الوصول إلى فهم دقيق بمعنى اللغو ولتتبين بعد ذلك علاقته بالوسطية ,وهي النقطة المقصودة في هذا العنصر

نذكر ما جاء في صحيح البخاري عن" ابي هريرة [3] "رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ان هذا الدين يسر ,ولن يشاد الدين احد الا غلبه ,فسددوا ,وقاربوا وابشروا ,واستعينوا بالعذوة والرحمة وشي ,من الذلجة ."قال ابن حجر[4] رحمه الله :والمعنى لا يتعمق احد في الأعمال الدينية ويترك الرفق الا عجز و انقطع فيغلب [5]، "و في حديث أخر أخر ما رواه الإمام أحمد [6]رحمه الله في مسنده أن رسول الله صلى عليه وسلم قال"اقرؤوا القرءان و لا تأكلوا به و لا تستكثروا به و لا تجفوا عنه و لا تغلوا فيه"[7]

هاته الأحاديث ترشدنا إلى أن الغلو خروج عن المنهج و تنعدي للحد و هو مخالفة كما أذن الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم فجاءت الأحاديث في هذا السياق كثيرة فليس هدفنا حسرها بل اكتفينا بذكر ما يخدم ما نحن بصدده و هو تحديد معنى اللغو و مفهومه و من ثم علاقته بالوسطية التي هي مركز بحثنا هذا و إضافة على الأيتين و الأحاديث نذكر تعريفات علماء المسلمين لمعنى اللغو يعرفه ابن تميمة رحمه الله الغلو

[1] الصلابي الوسطية في القرءان الكريم ص 37.
[2] ابن كثير .تفسير القرءان العظيم ج2ص82.
[3] هوعبد الرحمان بن صخر الدوسي أبو هريرة رضي الله عنه صاحب رسول صلى الله عليه وسلم و نقيب أهل الصدفة حمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علما كثيرا حدث عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين.
[4] هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين من أئمة العلم و من أشهر العلماء ولد بالقاهرة عام 773ه و أقبل على الحديث و رحل في طلب العلم حتى أصبح حافظ الاسلام في عصره وولي القضاء في مصر ثم اعتزل توفي بالقاهرة سنة 852 ه.
[5] البخاري مع فتح الباري كتاب الامام باب الدين يسر 116/1.
[6] هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ولد ببغداد سنة 162ه هو امام االهل السنة في عصره توفي 241ه.
[7] أخرجه أحمد في مسنده (3/428-444(صححه الألباني في صحيح الجامع رقم 1168.

مجاوزة الحد "يعرفه ابن تيمية*[1]"رحمه الله –الغلو مجاوزة الحد مجاوزة بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق و نحو ذلك ،أما ابن حجر . رحمه الله .يعرفه بقوله :الغلو :المبالغة في الشيء و التشديد فيه يتجاوز الحد ،و ضابط الغلو هو التعدي على ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى عنه الله في قوله تعالى "و لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي"طه 81[2].

-من خلال تعريف العلماء،يتبين لنا أن معنى الغلو هو نفسه الذي أفاده الموضعية من الخطاب القرآني و في الأحاديث النبوية و هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع .و ذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده و قصده الشارع العليم.

"فهو في سائر استعمالاته يدل على التطرف و التنطع و التشدد و العنف "[3]

أ- التطرف :يعرفه القرضاوي :"في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيدا عن عن الوسط .و أصله في الحقيقة كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي .ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك "[4]

ب-التنطع :"هو مأخوذ من النطع .وهو الغار الأعلى في الفم الذي يظهر عندما يتعمق الإنسان و يتشوق ثم استعمل في كل تعمق سواء أكان في القول أم الفعل "[5]،و في الحديث النبوي ،عن ابن مسعود رضي الله عنه[6] قال :قال رسول الله عليه وسلم "هلك المتنطعون"قالها ثلاثا"،أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم و أفعالهم "[7]

ج- التشدد:"و هو دال على القوة و الصلابة فالشبن و الدال أهل يدل على قوة في الشيء و المشاداة المغالبة و المقاومة ،و المشاداة في الشيء التشدد فيه "[8]

ب-العنف :"العين و النون و الفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق و العنيف :الشديد من القول و الفعل.

"و بالنظر إلى هذه الألفاظ تجد تقاربا بينها و بين الغلو ،فهو بمثابة أوصاف .و مظاهر للغلو و كلها ما عدا التطرف قد وردت في النصوص الشرعية في الكتاب و السنة".[9]

-هو شيخ الاسلام و حافظ الدين المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن [1]الخضربن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي .ولد بحران يوم الاثنين (10-03-661ه)و توفي ليلة الاثنين 20 من ذي القعدة 728ه.

[2]-الصلابي :الوسطية في القران الكريم ص39-40.

[3]-صلح بن غانم السدلان .مفهوم الغلو في الكتاب و السنة.

[4]-القرضاوي .الصحوة الاسلامية بين الجحود و التطرف.ص23.

[5]-صالح بن غانم السدلان .مفهوم الغلو في الكتاب و السنةص133.

[6]-هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمان .أسلم قديما ،و هاجر الهجرتين و شهد بدرا و المشاهد كلها .مات رضي الله عنه سنة32ه.

[7]-شرحه محمد فؤاد عبد الباقي.

[8]-الزمخشري .أساس البلاغة.

[9]-صالح بن غانم السدلان .مفهوم الغلو في الكتاب و السنةص134.

و بعدما تبين لنا معنى الغلو لغة و شرعا و عند العلماء و الألفاظ المتعلقة به،نتطرق إلى أحد أسس الوسطية **الإفراط** موضحين معناه و علاقته بالغلو.

2- الإفراط :

-جاء **الإفراط** في اللغة بمعنى :التقدم ومجاوزة الحد .

كقول **ابن فارس :**"قال :أفرط :إذا تجاوز الحد في الأمر ،و يقولون :إياك و الفرط ،أي لا تجاوز القدر ،و هذا هو القياس ،لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته "[1]

و جاء في الصحاح قول **الجوهري** :"و أفرط في الأمر ،أي جاوز في الحد "[2]

و في **لسان العرب** :الإفراط العجال و التقدم و أفرط في الأمر :أي جاوز في الحد و أفرط :الزيادة على ما أمرت "[3]"و الفرطة بالضم –اسم للخروج و التقدم و منه قول **أم سلمة** *[4] **(عائشة)***[5]إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاك عن الفرطة الفرطة في البلاد ،في رواية :نهاك عن الفرطة في الدين ،يعني السبق و التقدم و مجاوزة الحد."[6]و في الخطاب القراني قوله تعالى في صورة طه "إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى "طه من الاية 45،قال الطبري :-رحمه الله :و أما الإفراط فهو الاسراف و الاشغاط و التعدي ،يقال منه :أفرطت في قوتك ،إذ أسرف فيه و تعدى ،و أما التفريط فهو التواني ،يقال منه فرطة في هذا الأمر حتى فان ،إذ تواني فيه"[7]

نخلص من هذه التعريفات أن معنى الإفراط :هو تجاوز الحد ،و التقدم عن القدر المطلوب شأنه شأن الغلو الذي يفيد نفس المعنى ،و قد فسر الغلو بالإفراط ،كما تبين لنا أيضا أن كلا من الغلو و الإفراط هو خروج عن **الوسطية** ،فكان أمر يستحق وصف الغلو و الإفراط فليس من الوسطية في شيء .و بذلك تقرب إلينا مفهوم الوسطية و للتعرف أكثر عليها ننتقل إلى الأسس المتبقية .

ثانيا :التفريط و الجفاء:بعدما تعرفنا على الغلو و الإفراط نقف عند ما يقابلهما :

التفريط :جاء في لسان العرب أن التفريط في اللغة ،هو:**التضييع**،و في حديث علي رضي الله عنه (لا يرى الجاهل مفرطا أو مفرطا) ،وهو بالتخفيف المسرف في العمل ،و بالتشديد المقصر فيه ،و فرط في الأمر يفرط فرطا أي :قصر فيه و

---

[1]-ابن فارس ،مقاييس اللغة ، كتاب الفاء و الراء .ج4 ص490.

[2]-الجوهري ،الصحاح ،مادة فرط ج3ص1148.

[3]-ابن منظور ،لسان العرب ،فصل الفاء-بابفرط ج7ص369.

- هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة .المخزومية من أمهات المؤمنين دخل بها رسول صلى الله [4]عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة بعد وفاة أبي سلمة رضي الله عنه و كانت اخر أمهات المؤمنين ،عاشت نحو من 90سنة ،توفيت سنة61ه .

-هي عائشة بنت الامام الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه- اليتيمية القريشية أم المؤمنين ،زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،أفقه نساء الأمة [5]على الاطلاق ،توفيت عام 58ه.

[6]-ناصر بن سليمان العمر ،الوسطية في ضوء القران الكريم ص44.

[7] -تفسيرالطبري ج16ص170.

ضيعه حتى فان كذلك التفريط"[1]،و في قوله ابن فارس :"و كذلك التفريط ،و هو التقصير :لأنه إذا قصر فيه فقد قعد عن رتبته التي هي له "[2]،و في قول ابن المنظور أيضا :"و فرط في الشيء و فرطه ضيعه و قدم لالعجز فيه "[3]،و كذلك قال الجوهري :"فرط في الأمر فرطا ،أي قصر فيه و ضيعه حتى فان .و كذلك التفريط "[4]،إذن فالتفريط في اللغة يدل على التقصير و التضييع.

-و قد وردت مادة **فرط** في الخطاب القرآني في ثمانية مواضع [5]

منها قوله تعالى في سورة الأنعام:"قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا خسرتنا على ما فرطنا فيها "الأنعام 31،.قال الطبري في تفسير هذه الآية :"يقول يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها ... و قيل **فرطنا** أي جعلنا غير الفارط السابق لنا إلى طاعة الله و حلفنا [6]و في موضع اخرقال تعالى في سورة الأنعام :"ما فرطنا في الكتاب من شيء "الأنعام 38.

[1]-ابن منظور ،لسان العرب ،فصل الفاء ،باب فرط ج7ص369.

[2]-ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج4ص490.

[3]-ابن منظور ،لسان العرب ،ج7ص370.

[4]-الجوهري ،الصحاح ،ج3ص1148.

المواضع التي وردت فيها مادة **فرط**هي :سورة الأنعام (31،38،61) ،و الاية 80من سورة يوسف و الاية 62 من سورة النحل ،و 28من سورة الكهف ،و 59من سورة الزمر ،و الاية 45من سورة طه .[5]

[6]-تفسير الطبري .ج7ص178.

الفصل الثاني: ملامح الوسطية و مظاهرها

المبحث الأول: ملامح الوسطية

أ-الخيرية

ب-العدل

ج-الاستقامة

د-اليسر و رفع الحرج.

ه-الحكمة.

و-البينية.

المبحث الثاني: مظاهر الوسطية

أ-الوسطية في العقيدة.

ب-الوسطية في العبادة.

ج-الوسطية في التشريع و التكليف.

د-الوسطية في الأخلاق و المعاملات.

المبحث الثالث: مبحث تطبيقي

التطبيق على نماذج منتقاة من سورة البقرة.

المبحث التطبيقي

التطبيق على نماذج منتقاة من سورة البقرة

أولا :الألفاظ الدالة على الوسطية صريحة:

اللفظة	الآية	رقمها
وسطا	{وكذلك جعلناكم أمة وسطا}	من الآية 143.
الوسطى	{حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى}	من الآية 238.

ثانيا : الألفاظ الدالة على الوسطية من خلال الملامح :(إيماءا)

اللفظة	الأية	رقمها	توضيح
الخيرية	{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس}	من الآية 143.	إن معاني الوسطية الخيرية .
	{أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون }	من الآية 285.	الإيمان بالله من أوجه الخيرية .
	{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي}	من الأية 256.	من أوجه الخيرية كونهاخيرالأمم للناس و أنفعها لهم.
	{أفتطمعون أن يؤمنوا لكم و قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون}	الآية 75	من أوجه الخيرية الخيرية كون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية و ذلك بخلاف الكتب السماوية السابقة التي طرأ عليها التحريف.

	{فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون}	الآية 79	
العدل	{أمة وسطا}	من الأية 143	و الوسط حسب الحديث النبوي الشريف الذي أسلف ذكر العدل
	{لتكونوا شهداء على الناس}	من الآية 143	وجوب العدل على هذه الأمة دليل على وسطيتها
اليسر و رفع الحرج	{و كذلك جعلناكم أمة وسطا }	من الآية 143	التوسط :منبع التخفيف و رفع الحرج
	{و يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر}	الآية.	اليسر و رفع الحرج دليل وسطية الإسلام
	{لا يكلف الله نفسا إلا و سعها }	من الآية 286	عدم التكليف بما يضاد الوسع و الطاقة
	{ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا لا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به}	من الآية 280	
الحكمة	{ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آيتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم }	من الآية 129	الحكمة توسط معنوي لا يمكن إتباع الوسطية إلا بالحكمة.

	{يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا و ما يذكر إلا أولو الألباب}	الآية 269	
الاستقامة	{يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم }	الآية 142	الوسطية استقامة و لو لم تكن استقامة لكانت انحرافا
البينية	{و كذلك جعلناكم أمة وسطا}	من الآية 143	البينية من لوازم وصفات الوسطية فالبينية تدل على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء و كذلك الوسطية

هذه بعض النماذج التي انتقيناها من سورة البقرة، و التي تحمل دلالات الوسطية .

المبحث الأوّل: ملامح الوسطية

للوسطية ملامح و ميزات: ميّزها **الخطاب القرآني** في كثير من المواضع، حيث أوردها الباحثون ـ في مجال الوسطية ـ من خلال استقرائهم للقرآن الكريم، فقاموا بتحديدها كونها ضابطا أساسيا لتحديد الوسطية و معرفتها بمجموعها لا بآحادها ،ومن أهم هذه **الملامح** نذكر بعض ما توصل إليه الباحثون :

أوّلا :الخيــريــة

إنّ من معاني **الوسطية**: **الخيرية**، وذلك في قوله تعالى: {وَ كَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أمَّةً وَسَطًا}البقرة 143، وقد أسلفنا الذّكر في تفسير هذه الآية،حيث أوضح **ابن كثير** في تفسيره: "إن الوسط هنا: الخيار والأجود، كما يقال لقريش **أوسط** العرب نسبا و دارا، أي **خيرها**"[1]، كما يقول في تفسير قوله تعالى:{ كُنتُم خَيرَ أُمَّة أُخرِجَت للنَّاسِ }آل عمران 110،" يعني خيار الناس للناس، والمعنى أنّهم خير الأمم وأنفع الناس للنّاس" [2]، إنّ هذه **الوسطية** التّي جعل الله المسلمين عليها حين تنزّلت عليهم رحمته بهذا الدين، هي التّي جعلت المسلمين خير الأمم، أي أنّ الشريعة لما فيها من أحكام معتدلة ومبادئ قيمة و مثل عالية، تتلاءم مع طبيعة الإنسان و فطرته، و ما يجب أن يسمو إليه من شأنها أن تحقّق خيرية هذه الأمة و أفضليتها ...و الله ـ سبحانه و تعالى ـ قد ذكر السبب لهذه الخيرية في الآية نفسها "[3]، فقال جلَّ علاه {تَأمُرون بِالمَعرُوفِ وَ تَنهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَ تُؤمِنُونَ بِالله }آل عمران 110، ذكر **الطبري** في تفسيره أن معنى ذلك،" كنتم خير أمّة أخرجت للناس، إذا كنتم بهذه الشروط التّي وصفهم جل ثناؤه ـ بها "[4] ، كما يذهب **سيد قطب** في تفسيره لهذه الآية الدالة على الخيرية بقوله: "فهي خير أمّة أخرجت للناس، لا عن مجاملة، ولا عن محاباة ولا عن مصادفة أو جزاف ـ

[1] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج1 ، ص190.
[2] ـ المرجع نفسه، ص91.
[3] ـ عبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص72.
[4] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج4، ص44.

تعالى عن ذالك علوا كبيرا ...كلا إنما هو العمل الايجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر، و إقامتها على المعروف مع الأمان الذي يحدد المعروف و المنكر" [1]

من خلال ما تقدم تبين أنّ: الميزة التّي اختصت بها **الوسطية** هنا هي **الخيرية**، التّي ميز الله بها هذه الأمة في الآيتين الكريمتين:{وكذلك جعلناكم أمّة وسطا }و{ كنتم خير أمَة أخرجت للناس }إلا أن في الآية الأخيرة بيّن الخطاب القرآني سبب هته الخيرية في قوله تعالى:{تَأمُرون بِالمَعرُوفِ وَ تَنهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَ تُؤمِنُونَ بِالله } فجعل الخيرية معللة بعبادات: الأمر بالمعروف ،و النهي عن المنكر، و الإيمان بالله ـ عز وجل ـ وقد جمع المفسرون في هته الآيات بين **الخيرية** و **الوسطية** حتى جاءت إحداهما تفسر الأخرى، ولمعرفة معنى الخيرية سنذكر أوجهها ليتضح لنا **معنى الوسطية** .

إنَّ لهذه الخيرية أسباب، ولها حقيقة، حقيقة لا بد أن توجد في الواقع، و أن تُرى في الحياة، وليست مجرد تصّور ذهني و فلسفة غائبة"[2]، و تظهر في عدة أوجه منها :

ـ الوجــه الأوّل : الإيــمان بــالله

هذا الوجه و إن جاء في الآية بعد الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلّاّ أنّ الإيمان بالله ـ بلا ريب ـ هو الأصل و الأساس، الذّي تقوم عليه قواعد الدّين، التّي من أهمها الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر"[3]، فجعل الله سبحانه و تعالى الإيمان هو سبب الخيرية ،"إذ أن إيمان هذه الأمة يتميز عن إيمان سائر الأمم بأنه إيمان عام و شامل، يشمل جميع الرسل التي أرسلت، والكتب التي أنزلت على جميع الأمم التي خلت "[4] ، و دليل ذلك ما جاء في قوله تعالى {آمَنَ الَّرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِليهِ مِن رَبِّهِ وَ المُؤمِنُون كُلٌّ آمَنَ بِالله وَ مَلائِكَتِهِ وَرُسِلِه لَا نُفِرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُسُلِه وَ قَالُوا سَمِعنَا وأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبّنَا و إِلّيكَ الَمَصِير }البقرة 285، و لذلك حقت **الخيرية** لهذه الأمة المحمدية، كونها حصلت من الإيمان بجميع الرسل و جميع

[1] ـ سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج4، ص447.
[2] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص64.
[3] ـ عبد العزيز محمد، الوسطية وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص72.
[4] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم،ص61.

الكتب ما لم يحصل لغيرها،" فإذا تحققت الخيرية لهذه الأمة المحمدية،في صورتها الشرعية وجدت **الوسطية** في أسمى معانيها مقرونة بأركانها و مبانيها "[1].

الوجه الثاني :الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

وهذا أعظم ما كانت به الأمة خير أمة أخرجت للناس، فهو من أظهر خصائصها و أبرز ما تتميز به عن سائر الأمم، و لذلك قدمها الله عز و جل في الذكر على الإيمان به تعالى مع كونه ـ أي الإيمان ـ متقدما عليها في الوجود و الرتبة "[2]، و قد فرض الله سبحانه و تعالى على هذه الأمة، أن تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و أن يكون فيها من يقوم بذلك فقال عز وجل {وَ لتكن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ و يَأمُرونَ بِالَمعروفِ و يَنهونَ عَنِ المُنكَرِ وأولئِكَ هُم المُفلحُونَ}أل عمران 104، "والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، أوجبه الله على من قبلنا لكنهم فرطوا وضيعوا في قوله تعالى {لُعِنَ الذين كَفَروا مِن بني إسرائيل على لسان داوود و عيسَى ابن مَريم ذَلك بِمَا عَصُوا وَكاَنوا يَعتَدون كاَنُوا لَا يَتناهُونَ عَن مُنكر فَعُلوه لبئس ما كَانوا يَفعلُون }المائدة 81-89، ونجد مصداق خيرية هذه الأمة لقيامها بالأمر المعروف والنهي عن المنكر،أنهم منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الحاضر، وهذا الركن العظيم لم ينقطع و لم يترك .كما فعل بنو إسرائيل "[3].

من خلال ما سبق تبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،من أبرز أوجه **الخيرية** ، بالإضافة إلى أوجه عديدة لكونها خير الأمم للناس و أنفعها لهم، و كونها لا تجتمع على ضلالة وكون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية ...وآخر ما يقال في هذا العنصر: أنه إذا تحقق الإيمان بمعناه الشامل المتكامل، وجاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسانده، فإننا سنرى **الخيرية** التي أخبرنا الله سبحان وتعالى بها ماثلة أمام أعيننا، فبالأوجه المذكورة تتضح لنا **الخيرية** ومعناها، ويتبين لنا **أنها معنًا من معاني الوسطية**.

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص65.
[2] ـ الصلابي,، الوسطية في القرآن الكريم، ص62.
[3] ـ المرجع نفسه، ص62.

ثانــيا: العــدل

إن من ملامح **الوسطية: العدل،** الذي صح فيه الحديث النبوي الشريف الذي ـ أسلفنا ذكره ـ و ممّا يدل على إن العدل من ملامح الوسطية، قول **الطبري:** "و أما التأويل؛ فانه جاء بأنه الوسط العدل ،وذلك معنى الخيار و لأنّ الخيار من الناس عدو لهم "[1]، فهم يستمدون عبرتهم و عدلهم من وسطيهم.

" وإذا كان **الوسط**: شيء بين شيئين، فإنه يلزم لأن يكون وسطا شرعيا أن يكون عدلا لأنه إذا لم يكن كذلك مال و انحرف، إلى أحد الطرفين إما إلى الإفراط و إما إلى التفريط ، و هذا خروج عن حقيقة العدل"[2].

ولوجوب العدل على هذه الأمة صور من قيامها بها تذكر منها :

" وجوب العدل عن هذه الأمّة: فالعدل من الأسس و القيم التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية، فأنزل الله به كتبه، و أرسل به رسله، {وَلقَد أَرسَلنَا رُسُلنَا بِالبيانَات وأنزَلنَا مَعَهم الكِتابِ و المِيزان لِيقُوم النَّاس بِالقِسط }الحديد 25، أي **العدل،** فما من كتاب أنزل و لا رسول إلا أمر أمته بالعدل و أوجبه عليها، و الأمم بين طائع و حائد مائل عن العدل و القسط ، فظلت الرسل تذكر ما نسيته الأجيال، إلا أن جاء خاتم المرسلين ـ محمد صلى الله عليه و سلم إلى خاتمة الأمم التِي جعلها الله سبحانه و تعالى شاهدة على النّاس و قيمة على البشرية دين الله و تشهد لها بالا يمان و عليها بالكفر و العصيان"[3].

إن **العدل:** أهم ما أوجبه الله سبحانه و تعالى على هذه الأمّة وهو أعظم ما يميزها عن سائر الأمم، و لم يكتف بإيجابه عليهم ؛ بل أراد منهم أن يجعلوه خلقا من أخلاقهم، فأمر الله عز وجل أن تكون قائمه بالعدل في قوله تعالى:{يا أيُّهَا الذِّينَ آمنُوا كُونُوا قوامين لله شُهَداء بالقسط }المائدة 8، و يذهب **ابن كثير** في تفسير هذه الآية بقوله: أي كونوا قائمين بالحق لله عز وجل، لا لأجل النّاس و السمعة، و كونوا شهداء بالقسط أي؛ بالعدل لا بالجور:{ولا يَجرمَنَّكُم شنآنُ قَومٍ عَلى أَن لا تَعدلوا اعدلوا هو أقرب للتَّقوى و اتقوا الله إنَّ الله خبير بما

[1] ـ الطبري، تفسير الطبري،ج2 ،ص8.
[2] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص93.
[3] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص8.بتصرف.

تعملون }أي؛ لا يحملنكم بعض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدوا" [1].

ومن صور **العدل** أيضا: "**قيام هذه الأمة به،** فلم يكن العدل تشريعا لهذه الأمة فحسب، أو مجرد مثل عليا ،أو وصايا تفخر بها دون ممارسة أو تطبيق، بل هو واقع عاشته هذه الأمة و مارسته و طبقته ، في واقع حياتها على مر تاريخها الطويل، على تفاوت في ذلك التطبيق بين زمان و زمان و دولة ودولة ..."[2]

فجاء تاريخ هذه الأمة حافلا بهذه الصور، التّي تصوّر لنَا عدلها فيما بينها، و مع أعدائها و خصومها و أهل ذمتها، و سيأتي ذكرنا لأحد المواقف الشريفة التي ورد فيها هذا السلوك النبيل و الملمح العظيم ؛ ألا وهو **العدل**." وأولى هذه الصّور نعيشها مع سيد الخلق و إمام العالمين ـ محمد صلى الله عليه و سلم ـ إمام هذه الأمة و معلمها الخير، و هو يضرب أروع الأمثلة ،و يلقن أمته أبلغ دروس العدل و الإنصاف و المساواة"[3].

ولعل أبرز ما يصور لنا صورة العدل الموفق الذي روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الحديث الذي أخرجه البخاري حيث قالت: "(أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلّم رسول الله و من يجترئ عليها إلا أسامة، فقال: " اتشفع في حد من حدود الله" ثم قام فخطب فقال: "يا أيُّها النّاس إنَّما ضلَّ مَن كان قَبلَكم أنَّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، و إذا سرق الضَّعيف فيهم أقاموا عليه الحد، و أيم الله، لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ")[4]،و قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إنما أنا بشر و إنكم تَختَصِمُون إليَ فلعل بعضكم أن يكون أَلحَن بحجته من بعض فأقضي له على النحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيء، فإنما أقطع له قطعة من النار).[5] –إن هذا الموقف نقطة من بحر الأمة الزاخر بالعدل و القسط . وقد و قفنا عنده من أجل أن نبين صور **العدل** و كيف أنه يمثل ملمحا هاما من **ملامح الوسطية** .

---

[1] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص58.
[2] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص82.
[3] ـ المرجع نفسه، ص83.
[4] ـ أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة إذا رفع السلطان، الحديث6788 ،ج12،ص87.
[5] ـ أخرجه مالك، الموطأ، كتاب الأقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق، رقم الحديث1.

ثالـثا :الاستقـامـة

إن من ملامح الوسطية، وأبرز خصائصها، ومزاياها التي تعرض لها الباحثون **الاستقامة،** فذكروا أن " **الوسطية استقامة،** و لو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحراف فالانحراف إمّا إفراطا أو تفريطا، وذلك ضدَّ الوسطية و مباين لها" [1]

مستندين في ذلك على أقوال العلماء و المفسرين في تعريف **الاستقامة،** من بينها تعريف **القرطبي** في قوله:"**الاستقامة** الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين أو الشمال "، كما يعرفها **ابن القيم** بقوله: **الاستقامة**: ضد الطغيان و هو مجاوزة الحدود في كل شيء و تعني الاستقامة البعد عن الميل و الانحراف "[2].

و لقد حث الله سبحانه و تعالى على الاستقامة في كتابه العزيز و على لسان نبيه الكريم في كثير من الآيات و الأحاديث، و قد تناولها الكثير من الصحابة ـ رضوان الله عنهم ـ وحتى العلماء أوردوها في بطون مؤلفاتهم، لكن بما أن بحثنا يقتصر على الخطاب القرآني سنقف عند تلك الآيات التي تحث على **الاستقامة،** و من ثم **الوسطية،** نجد في قوله تعالى وهو يخاطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ:{ فاَستَقِم كَمَا أُمِرت وَ مَن تاَبَ مَعَكَ وَلاَ تطغوا} هود 112، و في سورة الشورى قال تعالى:{ فَلِذلِكَ فَادعُ وَ استَقِم كَمَا أمِرت و لاَ تَتَبِع أَهواءهم}الشورى15، و قال جل علاه :{ إنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُناَ الله ثم استَقَاموا تَتنَزلُ عَلَيهم المَلائكة ألَّا تَخَافُوا و لا تَحزَنُوا و أبشروا بِالجنة التي كنتم توعدون }فصلت 6.

وغيرها من الآيات التي تبين **الاستقامة** ومكانتها ...فلزوم الصراط المستقيم **استقامة** على دين الله وشرعه و هذا عين **الوسطية** .

[1] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص141.

[2] ـ عبد العزيز عثمان، الوسطية وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص70.

رابــعا: اليسر و رفع الحرج:

إن أول ما يتبادر إلى ذهن السامع عند نطق كلمة **الوسطية؛** معنى **اليسر والتسيير** و **رفع الحرج،** و هو فهم صائب، فالتيسير و رفع الحرج من أهم مزايا و فوائد **الوسطية** و هي: من أصول التشريع الإسلامي مسايرة الإمكان البشري في جميع الأوامر و النواهي التي يكلف بها الإنسان"[1]، فالإسلام دين يسر و سهولة و رفع الحرج عن هذه الأمة المكلفة، إذ أن كل فعل من أفعال المكلف له طرفان: طرف الإفراط و التشديد بالكثرة و طرف التفريط و الاستعانة و القلة، و الشريعة الإسلامية التي جاءت لسعادة الإنسان في العاجلة و الآجلة ؛ وضعت على أساس العدل و الوسط" [2]، فلا غلو و لا جفاء و لا إفراط و لا تفريط "واليسر و رفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط و التفريط ،و بين التشدد و التنطع، و بين الإهمال و التضييع"[3].

ومن هنا تتبين لنا العلاقة بين **اليسر و رفع الحرج** و **الوسطية،** و للتوضيح أكثر؛ يمكن أن نذكر تعريفا مبسطا لهما، ففي تعريف اليسر، يورد **ابن منظور** في لسانه :"اليسر و العسر هو اللين و الانقياد و الميسرة، السعة و الغنى، و تيسير الشيء و استيسر: سهل، و اليسر ضد العسر".[4]

و في **الاصطلاح**: يورد **الزمخشري** في تعريف **اليسر و الوسع:"**إن الوسع: هو ما يسع الإنسان و لا يضيف عليه و لا يحرج فيه، فالله لا يكلف النفس إلا ما يتسع فيه الموقف و تيسير عليها دون مدى غاية الطاقة و المجهود"[5].

أما **الحرج** في **اللغة**: هو أضيق الضيق، و حرج فلان على فلان: إذا أضيق عليه"[6] ، و في **الاصطلاح** :كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس و المال حالا و مالا "[1] ومن هنا

[1] محمد الصالح الصديق، مقاصد القران، دار الفجر القاهرة ط1، سنة 2004، ص 361.
[2] المرجع نفسه، ص 361.
[3] عبد العزيز، عثمان الشيخ محمد، الوسطية وأثرها في الوقاية من الجريمة،ص 90.
[4] ابن منظور، لسان العرب ج5، كتاب رز باب يسر ص 259.
[5] الزمخشري، الكشاف، ج 1 ص 172.
[6] ابن منظور، لسان العرب ج 2، كتاب ج ح باب حرج، ص 233.

يمكننا استنتاج تعريف **رفع الحرج** بأنه إزالة ما يؤدي إلى هذه المشاق الموضحة في التعريف، و يتوجه الرفع و الإزالة إلى حقوق الله سبحانه و تعالى، لأنها مبنية على المسامحة، و يكون ذلك إما بارتفاع الإثم عند الفعل ،و إما بارتفاع الطلب للفعل،و حينما يرتفع كل ذلك ترتفع حالة الضيق التي يعانيها المكلف حينما يستشعر أنه يقدم على ما لا يرضي الله، و هذا هو الحرج النفسي و الخوف من العقاب الأخروي، كما يرتفع الحرج الحسي حينما يكون التكليف شاقا فيأتي العفو من الله ـ سبحانه و تعالى ـ، إما بالكف عن الفعل الموقع في الحرج و إما بإباحة الفعل عند الحاجة إليه.[2]، ولقد تضافرت الأدلة على هذا الملمح من ملامح الوسطية اليسر و رفع الحرج، منها ما جاء الخطاب القرآني الجليل في الكتاب، و منها ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه و سلم في السنة و منها ما جاء من آثار الصحابة رضوان الله عليهم، و حسبنا أن نقف عند تلك الأدلة التي جاءت بها الخطاب القرآني، ذاكرين نماذج بسيطة منها بغية التدعيم و" فيما يلي نقسمها إلى أقسام ثلاثة أولها التيسير ثم أدلة دفع الحرج ثم أدلة عدم التكلف بغير الوسع و الطاقة.[3]

1-أدلة التيسير و التخفيف: قال تعالى: {ويريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر} البقرة 185. و قال تعالى في سورة الأعلى {و نيسرك لليسرى }الأعلى 08، و قال جلا علاه في سورة الشرح{ مع العسر يسرا}الشرح 5-6 و غيرها من الآيات التي تفيد التسيير على هذه الأمة قال في تفسير آية البقرة قال الشعبي: إذا اختلف عليك أمران فان أيسر هما اقر بهما إلى الحق لهذه الأمة»[4] و قال ابن كثير في تفسير أيه الأعلى: أي نسهل عليك يا محمد أعمال الدنيا و الآخرة و نشرع لك شرعا سهلا سمحا"[5]، كما ذكر في تفسير هذه الآيات "إن الله أراد لهذه الأمة اليسر و لم يرد لها العسر"[6].

---

[1] الصلابي، الوسطية في القران الكريم، ص 100.
[2] المرجع نفسه ص 105.
[3] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 106.
[4] المرجع نفسه ص 106.
[5] ابن كثير تفسير القران العظيم ج 4 ص 535.
[6] ابن كثير تفسير القران العظيم ج 1 ص 217.

2 - أدلة رفع الحرج: من أقوى الأدلة في الدلالة على رفع الحرج قوله تعالى { و ما جعل عليكم في الدين من حرج} الحج 78 "[1] ،قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :"ما كلفكم ما لا تطيقون و ما أكرمكم بشيء يستق عليكم الا جعل الله لكم فرجا و مخرجا"[2]، و من الأدلة قوله سبحانه و تعالى في سورة النور: {ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج } النور 61، إن هذه الآيات و غيرها فبها دلالة بارزة على رفع الحرج من هذه الأمة كما أن الله سبحانه و تعالى لم يجعل هذا الدين حرج بل جعله يسر عليهم.

3-أدلة عدم التكلف بما يضاد الوسع و الطاقة: أورد الخطاب القرآني الكثير من هذه الآيات نذكر منها ـ على سبيل المثال الحصر ـ قوله سبحانه و تعالى في سورة البقرة:{ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } البقرة 28 و قال تعالى في سورة المؤمنون: { و لا نكلف نفسا إلاّ وسعها} المؤمنون62 ،و كذا قال تعالى:{ و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف و لا تكلف نفسا إلاّ وُسعها } البقرة 233، و الوسع حسب **الزمخشري** ـ كما ذكرنا سابقا ـ هو ما يسع الإنسان، و لا يضيق عليه و لا يحرج فيه، هذه بعض الآيات التي "وردت مبينة أن التكليف بحسب الوسع و الطاقة و لاشك أن الأحكام الشرعية إذا كانت مطلوبة في حدود الوسع و الاستطاعة دن بلوغ الطاقة فمن هنا يكون الحرج مرفوع كما نبين هنا الآيات إن اليسر سمة هذا الدين و التوسعة على العباد خاصة من خصائصها فهي الوسطية التي لاعنت فيها و لا مشقة.[3]

و بهذا يمكننا أن نتوصل إلى أنّ: **اليسر و رفع الحرج؛** خاصية تندرج ضمن منهج **الوسطية،** فلا يمكن أن نفهم الوسطية إلا إذا توصلنا إلى فهم اليسر و رفع الحرج، فبهذا الملمح نحقق الوسطية المطلوبة.

[1] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 108.
[2] ابن كثير تفسير القران العظيم ج1 ص 217.
[3] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 108 بتصرف.

خامسا: الحكمــة

جاءت صفة **الحكمة** ملمحا من ملامح الوسطية، "و بيانها أن التوسط هو توسط معنوي، و تحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف تحقيق للمصالح و درءا للمفاسد و هذه الحكمة الشرعية " [1]،معنى هذا أن الوسطية أمر نسبي لا يمكن تحقيقها إلا بتحديد عدة عوامل يشترط مراعاتها، و هذا لا يكون إلا بالحكمة التي لا بد منها في التمييز بين تلك العوامل.

- و لو أردنا أن نعرفها لوجدنا أنفسنا أمام معان عدة، حيث جاء تعريفها في **القاموس المحيط:** "أنها تستعمل بمعنى العدل و العلم و الحلم و النبوة و القرآن و الإنجيل و أحكم الأمر أتقنه فاستحكم و منعه عن الفساد"[2] ، و جاء في **لسان العرب:** الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم و يقال لمن يحسن دقائق الصناعات و يتقنها انه حكيم"[3]، أما **سيد قطب** يعرفها في ضلال القرآن بقوله: "الحكمة القصد ة الاعتدال و إدراك العلل و الغايات و البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات و الأعمال.[4]

أما تعريفها **في الاصطــلاح الشــرعي** فذكر العلماء مفهومها في القرآن الكريم و السنة النبوية، واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة هي: النبوة و قيل القرآن و الفقه به، ناسخة.

و منسوخة ومحكمة و مشابهة و مقدمة م مؤخرة و حلال و حرامه و أمثاله"[5]، و **الحكمة** في كتاب الله نوعان: مفردة و مقرونة بالكتاب"[6]، فالمفردة كقوله تعالى { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن } النحل 125، و قوله تعالى: { يؤتي الحكمة من شاء و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} البقرة 269، و هذا النوع كثير

[1] ناصر العمر، الوسطية في ضوء القران ص 92.
[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط باب الميم فصل الحاء ص 1415.
[3] ابن منظور لسان العرب باب الميم فصل الحاء، ج12، ص 143.
[4] سيد قطب في ضلال القران الجزء 1 ص 332.
[5] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 118.
[6] المرجع نفسه ص 119.

في الخطاب القرآني أما **الحكمة** المقرونة بالكتاب فهي في السنة النبوية من أقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى: { ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم انك أنت العزيز الحكيم} البقرة 129.

و لو أردنا أن نكشف عن العلاقة بين التعريف اللغوي و الشرعي لوجدنا أن فضل التعريفات للحكمة، التي يعرف بها علاقتها بالوسطية ،تعريف **الشيخ عبد الرحمن السعدي** و **سيد قطب**، فقال **السعدي** في تفسيره:" **الحكمة** هي العلوم النافعة، و التعارف الصائبة و العقول المسددة، و الألباب الرزينة، و إصابة الصواب في الأقوال و الأفعال ...و جميع الأمور لا تصح إلا **بالحكمة**، التي هي وضع الأشياء في مواضعها و تنزيل الأمور منازلها و الأقدام في محل الأقدام و الأحجام في موضع الأحجام "[1]، أما العلاقة في تعريف **سيد قطب** فتتجلى في القول الذي أسلفت ذكره إذ قال**:" الحكمة** القصد و الاعتدال و إدراك العلل و الغايات و البصيرة المستنيرة التي تهدي للصالح الصائب من الحركات و الأعمال"[2].

فكلاهما في غاية الدلالة على صلة **الحكمة بالوسطية**، فالحكمة لابد من اعتبارها عند تحديد معنى الوسطية، بل إن الالتزام بالوسطية و عدم الجنوح إلى الإفراط و التفريط هو عين **الحكمة** و جوهرها.

[1] السعدي تفسير القران الكريم في تفسير الكلام المنان ج1 ص 332
[2]ـ سيد قطب، في ظلال القرآن،ج 1، ص312.

ســـادسا: البينـــية

آخر ملامح **الوسطية** و أحد لوازمها و صفاتها **البينية** التي، تدل" على وقوع بشيء بين شيئين أو أشياء، و قد يكون حسا أو معنى"[1]، عند القول بأن: الوسطية لا بد أن تتصف بالبينية فالمقصود هنا ليس مجرد البينة الظرفية، بل الأمر أعمق من ذلك حيث أن هذه الكلمة تغطي مدلولا عمليا على أن هذا الأمر فيه اعتدال و توازن، و بعد عن الغلو و التطرف أو الإفراط و التفريط، و بهذا تكون البينية صفة مدح لا مجرد ظرف عابر، و من هذا التفسير جاءت علاقة البينية بالوسطية، و لا غرابة في الربط بين الوسطية و البينية إذ أنه المتبادر إلى الأذهان عند نطق اللفظتين و هذا يتوافق مع التعريف اللغوي كما سبق بيان ذلك في تعريف مادة وسط في اللغة و الاشتقاق"[2].

و نظرا لأهميتها البالغة وقف عندها الكثير من علمائنا قديما و حديثا فهذا **الطبري** في تفسيره بقول: " أنا أرى أن الوسط بمعنى الجزء الذي هو بين طرفين، مثل وسط الدار و أرى انه الله ـ تعالى ذكره ـ إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل علو فيه غلو النصارى و لا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود ... و لكنهم أهل توسط و اعتدال فيه فوصفهم الله بذلك ... إذا كان الأمور إلى الله أوسطها "[3]، و قد ذكر **رشيد رضا** في تفسير المنار بقوله: أن الوسط هو العدل و الخيار و ذلك إن الزيادة على المطلوب في الآمر إفراط و النقص عنه تفريط و تقصير و كل من الإفراط و التفريط مثل عن الحادة القويمة فهو شر و مذموم فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما، كما ذكر **محمد قطب** في كتابه منهج التربية الإسلامية إن الوسطية هي التوازن و التوازن هو العدل حيث قال في قوله تعالى:{و كذلك جعلناكم أمة وسطا} وسطا في كل شيء متوازنا في كل ما تقومون به من نشاط... و ذكر **يوسف القرضاوي**، في كتابه الخصائص العامة للإسلام و نعني بها ـ أي الوسطية ـ التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين بحيث لا ينفرد

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص87.
[2] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص146، بتصرف.
[3] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج2، ص6.

أحدهما بالتأثير و يطرد المقابل بحيث لا يأخذ الطرفين أكثر من حقه و يطعن على مقابله و يحيق عليه"[1].

أثبت هؤلاء العلماء و ـ غيرهم ـ ممن تحدثوا على **الوسطية** أن **البينية:** قضية مسلمة و هي أمر أساس في تحديد مفهوم **الوسطية،** إذ لا تعد هذه البينية مجرد الظرفية بل هي أكثر من ذلك، فهي تعطي الدلالة على التوازن و الاستقامة و العدل و من ثم الخيرية فهذه هي الوسطية الحقّة التي ينصّ عليها الخطاب القرآني.

[1] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص، بتصرف.148

المبحث الثاني: مظاهر الوسطية

تمهيد:

تبين لنا من خلال ما سبق جملة من الميزات والخصائص، التّي تخصُّ الوسطية،"فإذا كان للوسطية كل هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلّى واضحة في كل جوانب الإسلام، نظرية وعملية، وتشريعية، فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور...وسط في الّتعبد والتنسّك...وسط في الأخلاق والآداب...وسط في الّتشريع والنّظام"، والنّاظر في كتاب الله، لا يتلو بضع آيات إلّا وجد فيها ذلك صراحة أو إيماءً...ولذلك فإن الّذين حصروا الحديث عن الوسطية في الآيات التّي جاء فيها لفظ "الوسط" أو ما اشتقَ منه، قصروا الكلَ على بعض أجزائه، وإلَّا فإن بعض الآيات التي لم ترد فيها هذا اللفظ جاءت أقوى دلالة على الوسطية من آيات ورد فيها هذا اللفظ".

ولبيان هذه الحقيقة لا بد لنا أن نعيش مع الخطاب القرآني، متأملين في بعض ما ورد في الوسطية، وذلك بذكر بعض المظاهر- إذ لا يمكننا التطرق إليها جميعا - مع ذكر بعض الآيات الدالة عليها، ومن ثم الدالة على الوسطية، ومن المظاهر التي سنتطرق إليها نجد:

- الوسطية في العقيدة.
- الوسطية في العبادات.
- الوسطية في التشريع و التكليف.
- الوسطية في الأخلاق والمعاملات.

وهاته المظاهر الرئيسية تندرج تحتها عدة مظاهر فرعية والتي ذكرها البعض مستقلة بذاتها.

الوسطيـة في العـقيدة:

أولا: تعريف العقيدة:

أـ العقيدة لغة: "من العقد وهو الربط والشدة بالقوة، منه الإحكام والإبرام والتماسك والمراصة والإثبات والتوثق"[1].

بـ ـ العقيدة في الاصطلاح: حسبما عرفها **الدكتور ناصر العقل"** [2]قال: "الإيمان الجازم بالله وما يجب في أُلوهيَّته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وكتبه و رسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمور الغيب و أخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشَّرع ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالطاعة والإتباع "[3] .

ثانيا: الوسطية في العقيدة:

لقد جاء الخطاب القرآني بمنهج الوسطية في العقيدة شاملا متكاملا، وذلك أن العقيدة

هي الأساس وعليها البناء، فأي انحراف فيها يسري على ما سواها ويؤثر فيه، و العقيدة من أوسع الأبواب و أكملها، حيث تشتمل على الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره "[4] .

"فالوسطية في العقيدة أن يعبد الله وحده لا شريك له، وأن تصرف جميع أنواع العبادة له من غير شرك ولا كهنون، ولا وسائط أو بدع، وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا تعبد إلا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة عقد، فصل العين المهملة، ج3،ص295

[2] **هو ناصر عبد الكريم العقل، من علماء العقائد بنجد، تحصل على الدكتوراه وأشرف على رسائل علمية في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.**

[3] الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم ص165

[4] ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص103

بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)أل عمران 64"[1]، وإن من أعظم أصول الإيمان وأعلاها مرتبة، "هو: الإيمان بالله وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ولقد ضلت طوائف كثيرة في هذا الباب، فهم بين إفراط وتفريط، و غلو وجفاء، فاليهود وصفوا الله بصفات النقص التي تلحق بالمخلوقين، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق، وهناك من أنكروا وجود الله، فالإسلام أنكر كل هؤلاء"[2]، فهو وسط بين الملل والنحل، " فلا إلحاد ولا وثنية، بل عبودية خالصة لله والربوبية والألوهية، وكذا في الأسماء والصفات وسط بين أهل التشبيه والتمثيل التحريف والتعطيل و في القضاء والقدر، وسط بين نفاة القدر والمغالين فيه والقائلين إن العبد مجبور على فعله، وفي مسألة الإيمان، وسط بين من جفوا فأخروا الأعمال... وبين من غلوا فأخرجوا من دائرة الإيمان عن عمل بعض المعاصي"[3]

فالإسلام وسط بين في كل شي، فلا إفراط ولا تفريط، والوسطية في العقيدة؛ يعني أنها عادلة خيرة، يؤمن فيها العباد بالله وحده لا شريك له، كما يؤمنون بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جميعا، وجميع كتبه... و هذا ما جاء الخطاب القرآني يدعو إليه ويقرره، كما جاء ليرد على الانحرافات إفراطا كانت أو تفريطا وتقرر المنهج الحق، وما يجب أن يعتقده المؤمن.

سبق و ذكرنا أن العقيدة من أوسع الأبواب، فالخطاب القرآني تطرق لجميع أبوابها إلا أننا في بحثنا هذا سنقف عند جزئيات صغيرة ليست إلا أمثلة مختارة لبيان تقرير الخطاب القرآني للوسطية، داعيا إليها أو ناكرا لما جاء به اليهود والنصارى من انحرافات ... فكل ذلك يهدف إلى تبيان المنهج الوسط ؛ وهو منهج المسلمين، وسنتطرق فيما يلي إلى نموذجين من نماذج الوسطية، وهما: الوسطية في الإيمان بالله ، والإيمان بالرسل، لأنهما

[1]) صالح آل طالب، خطبة الجمعة (الوسطية) ، المسجد الحرام، مكة المكرمة، بتاريخ 13-06-1425ه.

[2]عبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص64

[3]عبد الرحمن السديس، خطبة الجمعة (تعريف الأنام بوسطية وعدل الإسلام)، المسجد الحرام ، مكة المكرمة بتاريخ 27- 02-1423ه

أساس العقيدة، فإذا صلحا صلحت العقيدة ،وتحققت الوسطية.

الوسطية في الإيمان بالله:

لقد ضل كثير من البشر عبر التاريخ في الإيمان بالله تعالى، وربوبيته وألوهيته ، فقسم منهم أنكر أن يكون لهذا الكون خالق يحيي ويميت"[1] قال تعالى: {و قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا و ما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون}الجاثية الآية24.

يذهب **ابن كثير** في تفسير هذه الآية بقوله: " وهذا بقوله مشركوا العرب المنكرون المعاد، وتقـوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهو ينكرون البداءة والرّجعة، وتقول الفلاسفة الدّهريـــة المنكرون للصانع المعتقدون أنَّ كلَّ ستة وثلاثين ألف سنة يعود كلّ شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أنَّ هذا تكرّرّ مرّات، لا تتناهى فكابروا العقول وكذَّبوا المنقول."[2] ، وآخرون ادّعوا الألوهية كفرعون{أنا ربّكم الأعلى}النازعات من الآية24 ، ومن الطّوائف التّي ضلت في هذا الباب نجد: اليهود الذّين وصفوا الله جل علاه بصفات النّقص التّي لا تليق به ـ سبحانه وتعالى ـ وجاء آخرون كالنّصارى. فوصفوا المخلوق بصفات الخالق التّي لا يختصُّ بها، فشبّهوا المخلوق بالخالق، حيث قالوا إنَّ المسيح يخلق، ويرزق، ويرحم ونحو ذلك"[3] فجاء الخطاب القرآني بالمنهج الوسـط، وأنكر على كل فريق من هؤلاء و غيرهم، ما ارتكبوه في جنب الله ـ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرا.

ردَّ الله تعالى في خطابه الجليل على الذين وصفوه ـ جل علاه ـ بالبخل والفقر بقوله: لَقَد سَمِعَ اللهُ قَول الذين قالوا إنَّ الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق}آل عمران 181، كما ردَّ ـ عزَّ وجلَّ ـ على الذّين قالوا يد الله مغلولة ،بقوله: {و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء }المائدة 64، وردَّ عليهم في قولهم: إنَّ الله خلق السَّموات والأرض في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع في قوله ـ تعالى ـ { ولقد خلقنا السموات والأرض و ما

[1]ـعبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص98.
[2]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4 ، ص162.
[3]ـ محمد با كريم، وسطية أهل السنة بين الفرق، ص 257.

بينهما في ستة أيام و ما مسَّنا من لغوب } ق الآية 38، وكما نجد ردّ الله سبحانه و تعالى على الذين أنكروا الألوهية، و ادَّعاها لنفسه في قصة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام، مع النمرود حيث ذكرها في سورة البقرة في قوله تعالى: { ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين } البقرة 258"[1]. قال **"ابن كثير"** في تفسيره قوله تعالى: { حاج إبراهيم في ربه } البقرة من الآية 258:" أي وجود ربه، وذلك أنه يكون له إلها غيره، كما قال بعده فرعون لملئه: { ما علمت لكم من إله غيري } القصص من الآية 38"[2].

"أما في رده على النصارى الذين قالوا: إن عيسى عليه السلّام يغفر ويرحم ويخلق ويرزق وغيرها من صفات الربوبية، وصفات الألوهية التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى"[3] فجاء الخطاب القرآني ليبين انحرافهم وخروجهم عن الصراط المستقيم في قوله ـ سبحانه وتعالى: { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم و أمه و من في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير } المائدة 17. وقال: { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و ما من اله إلا اله واحد وإن لم تنتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم }المائدة 73.

"وهناك من أرادوا تنزيه الله ـ جلَّ علاه ـ فنفوا عنه أسماءه وصفات الكمال التي وصف بها نفسه، ووصف بها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فجاءت الآيات الكثيرة التي تثبت لله صفات الكمال وأسماء ذي الجلال"[4]، ومنها:{الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم }الفاتحة 2- 3، وقوله تعالى: { ورحمتي وسعت كل شيء } الأعراف من الآية 156، وقال: { هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر} الحشر

[1] ناصر العمر الوسطية في ضوء القرآن الكريم ،ص104\105 بتصرف.
[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج4،ص194.
[3] ـ محمد با كريم، وسطية أهل السنة بين الفرق، ص 273.
[4] ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص106.

من الآية 23. وقوله تعالى :{وغضب الله عليهم ولعنهم } الفتح من الآية 6... إلى غير ذلك من الآيات التي تنص على صفات الكمال التي يتصف الله سبحانه و تعالى بها ، بحيث يدعونا الله سبحانه وتعالى في خطابه الجليل إلى الإيمان بها .

من خلال ما سبق اتضح لنا أن الخطاب القرآني جاء مقررا منهج الوسطية في العقيدة، ردًّا على الذين انحرفوا على الصراط المستقيم، فجاءت الآيات تلوى الآيات، إثباتا ونفيا وإنكارا وردا، وتنزيها، لتقرر المنهج الحق بين الغلو والجفاء والنفي والإثبات، مما يليق به سبحانه وتعالى.

2- الوسـطية فـي الإيـمان بالـرّسل:

وكما ذكرنا اليهود والنصارى مثلين للانحراف في باب الإيمان بالله، فسأذكرها هنا نموذجين أيضا للانحراف في باب الإيمان بالرسل، وذلك لأنهما تم ذكرهما في الخطاب القرآني في عدة مواضع، لكونهما أشهر أمتين قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

أمّا موقف اليهود من أنبياء الله ورسله؛ تتلخص في الأمور التالية:

1- "أنهم فرقوا بين الله ورسوله؛ ببعض الرسل وكفروا ببعض، وبمجرد التشهي والعادة، لا عن دليل قادهم لذلك، قال تعالى: {إن الّذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا } النساء 150، وهذا الأمر وإن كان يشترك فيه اليهود والنصارى؛ ولكنه في اليهود أكثر"[1].

2- "أنَّهم خذلوا أنبياءهم ونقضوا العهود التي أخذوها عليهم"[2]، قال سبحانه وتعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنَّكم جنَّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السَّبيل } المائدة الآية 12. قال **الحافظ ابن كثير** في تفسيره هذه الآية:" أي: نصرتموهم وآزرتموهم

[1] ـالمرجع السابق،ص 109.
[2] ـ المرجع نفسه، ص108,

على الحق"[1]، "وآيات أخذ الميثاق والعهد على بني إسرائيل كثيرة جدّاً ، لكن ماذا كانت النتيجة؟،" قـال تعالى:{ فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه ونسوا حظًّا مِّمَّا ذُكِّروا به ولا تزال تطَّلع على خائنة منهم } المائـدة من الآية 13.

ونقض العهد والغدر ينبئ عن مكانة الأنبياء في نفوسهم وعقيدتهم فيهم." [2]

3- "أنهم تنقصوا بعض الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ورموهم بارتكاب كبائر الذنوب وألصقوا بهم كلَّ رذيلة"[3]، فجات الآيات في هذا العنصر كثيرة.

4-" قتلهم الأنبياء والرسل، وقد ذكر الله في القرآن الكريم في أكثر من موضع"[4]. ففي قوله تعالى في سورة البقرة:{ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق } البقرة من الآية 61، وفي قوله ـ جلَّ علاه ـ: { ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيِّنات وأيدناه بروح القدس أفلكما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } البقرة 87، وفي قوله تعالى: { لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذَّبوا وفريقا يقتلون } المائدة80، فمن خلال هته الآيات وغيرها يتبين لنا موقف اليهود لما فيه من تفريط وجفاء، أما موقف **النصارى**؛ فيتلخص في موقفين:

1 ـ "التفريط والجفاء: مع أنبياء الله ورسله ـ عدا عيسى عليه السلام ـ فلم يؤمنوا ببعضهم وكفروا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ"[5]، ويتبين ذلك جليا من خلال الآيات التي وردت، منها قوله تعالى: { إنَّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا } النساء 150، وقال ـ تعالى ـ مبينا كفرهم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: { وإذ قال عيسى ابن مريم يا

[1] ـابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص62.
[2] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص109.
[3] ـالصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص246.
[4] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص109.
[5] ـ المرجع نفسه، ص110.

بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبيِّنات قالوا هذا سحر مبين } الصف 6.

2 ـ "الغـــلو والإفـراط: أنهم غلوا وأفرطوا في نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ ورفعوه فوق المكانة التي جعله الله فيها، وأنزلوه فوق المنزلة التي أنزله إياها "[1] ـ كما سبق ذكرنا لذلك ـ قال تعالى: { لقد كفر الذين قالوا إن الله المسيح ابن مريم } المائدة من الآية 72.

وفي قوله تعالى: {وقَالتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْن الله } التوبة من الآية 30، وفي قوله تعالى: { لقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالوا إنَّ الله ثَالثَ ثَلاثَةٍ ومَا مِنْ إلَهٍ إلَّا إلَهٌ وَاحد } المائدة من الآية73 ... وغيرها من الآيات التي تبين موقف النصارى من الأنبياء والرسل، والتي نستخلص من خلالها؛ أنَّ كلاًّ من موقفي اليهود والنصارى، كانا موقف الإفراط والتفريط،والغلو والجفاء، " أما الموقف الحق فهو الذي قرره الخطاب القرآني، وهو الذي بين هذين الموقفين، فهو وسط بين هذين الموقفين؛ فهو وسط بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، ويمكن تلخيصه **فيما يلي"[2] :**

أ ـ "ردَّ الله على أولئك الذين انحرفت عقيدتهم في رسل الله وأنبيائه، و ردهم عن الانحراف إلى المنهج الحق؛ تقريرا لمنهج **الوسطية؛** المنهج الذي أمر الله تعالى بإتباعه والالتزام به، وهو العدل والصواب فيما يجب أن يعتقده المسلم ويعامل أنبياء الله ورسله.

فرد على الذين فرقوا بين الله ورسله؛ في قوله تعالى: { أولئك هم الكافرون حقًّا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا } النساء 151.

أمَّا الذين نقضوا العهود والمواثيق فردّ عليهم بقوله ـ جل علاه ـ: { والَّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار }الرعد 25.

---

[1] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص249.

[2] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم،ص111.

أما الذين قتلوا الأنبياء والرسل، فكانت عاقبتهم جراء انحرافهم عن الطريق السوي؛ { وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون } البقرة من الآية 61."[1]

أمَّا في غلو النصارى في عيسى عليه السلام، فحكم عليهم بالكفر واللعن، فرد عليهم بقوله تعالى: { لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم } المائدة من الآيتين 17و 72، وقال عز وجلّ: { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلَّا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الذين كفروا عذاب أليم }المائدة 73.

ب ـ إنَّ الحكم على الانحراف وبيانه؛ مباشرة للوصول إلى الطريق الصحيح والمنهج المستقيم، فبعد بيان خطأ هؤلاء الذين انحرفت عقيدتهم، وضلوا في رسل الله تأتي إلى بيان المنهج الحق **ـ الوسطية ـ** في أنبياء الله ورسله؛ كما قرره الخطاب القرآني ودعا إليه في أكثر من موضع"[2]، نجد في قوله تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط وما أوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون } البقرة 136. وقال ـ جل علاه ـ : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل أمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله }البقرة من الآية 285. وقال تعالى في موضع آخر:{ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول } المائدة من الآية 96, والآيات كثيرة في هذا المقام التي توضح " منزلة الأنبياء والرسل وعلو مقامهم والمنهج الحق فيهم، فلا يجوز الغلو فيهم مع الغالين ... كما لا يجوز الحط من قدرهم أو انتقاصهم، بل يجب احترامهم والإيمان بهم وعدم التفريق بينهم "[3]، قال تعالى: { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } الأنعام من الآية 90، " فهذه منزلة الرسل والأنبياء عند أمة الإسلام ، لا

[1] المرجع نفسه، ص111-112-113 ، بتصرف.
[2] ـ المرجع السابق، ص112.
[3] ـ المرجع نفسه، ص115، بتصرف.

إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء ولا تقصير فهم عندها عبيد لا يعبدون، ورسل لا يكذبون، بل يطاعون ويتبعون" [1].

إذن من خلال ما سبق اتضح لنا؛ أنَّ الإيمان بالله ورسله بابا من أبواب العقيدة التي يدعونا الخطاب القرآني إلى **الوسطية** فيهما شأنهما شأن الأبواب الأخرى من مثل، الإيمان بالملائكة و بالكتب واليوم الأخر والقدر خيره وشره، وقد جاء ذلك في مواضع كثيرة؛ فهو إما يدعونا مباشرة للوسطية، أو أنه ينكر انحراف الأمم السابقة إما غلوا أو جفاءً ، إفراطا أو تفريطا ، ففي كل ذلك بيان **للوسطية.**

وفي إطار تقرير **منهج الوسطية في العقيدة؛** قال تعالى: { ومن يرغب عن ملة إبراهيم فقد سفه نفسه } البقرة من الآية 130، وفي سورة يوسف قال تعالى: { ذلك الدين القيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون } يوسف من الآية 40، قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له، هو الدين المستقيم الذي أمر الله به "[2]

والآيات التي جاءت تنصُّ على حقيقة الوسطية في باب الإعتقاد كثيرة .

[1]- عبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص137.
[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص434.

الوســطية فــي العبـادات

أولًا : مفهوم العبادة في اللغة والاصطلاح:

1- في اللغة:

"العبادة والتعبدية والعبودية: الطاعة "[1]، و جاء في لسان العرب:" أصل العبودية: الخضوع والتذلل، والتعبد : التنسك، والعبادة: الطاعة، والتعبد: التذلل، بعير **معبد** مذلل، وطريق معبد مسلوك مذلل..."[2].

2 ـ العبادة في الاصطلاح الشرعي:

" إن مفهوم **العبادة** في الإسلام إذا كان إطلاقه فهو يشمل الدين كله، بما في ذلك الاعتقادات والشعائر التعبدية، والأعمال والأنشطة المختلفة في شؤون الحياة، إذا كانت وفق منهج الإسلام... فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث و أداء الأمانة و بر الوالدين، وغير ذلك ؛ هي من العبادة لله ـ عز وجل ـ فهي بهذا المفهوم؛ تشمل طاعة الله والإذعان له في أمور الدين كلها يستوي في ذلك الفرائض والنوافل، وسائر ما جاء به الدين من أحكام المعاملات والعقوبات"[3]، فهي بهذا المفهوم؛ تعني الانقياد لأوامر الله ـ سبحانه وتعالى ـ اعتقادا وعملا، ففي التنزيل قوله تعالى: { قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين } الأنعام 162-163، فالغاية من الخلق هي **عبادة** الله ـ عز وجل ـ في قوله تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } الذاريات 56.

---

[1] ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص378.

[2] ـ ابن منظور، لسان العرب، كتاب الدال فصل العين المهملة، ج3، ص371.

[3] ـ عبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص116.

ثـانيــا: الإفـراط والتفـريط في العـبادة:

يقصد بالتفريط في العبادة: هو التهاون والتساهل فيها، والإفراط: فهو الغلو والتشدد في العبادة، فيما يلي ذكر لبعض المناهج السائدة فيما يتعلق تفريطا أو إفراطا حسبما وردت في الخطاب القرآني وهما **منـهجان**:

المنهج الأول: " يمثله اليهود في تفريطهم وجفائهم، فلو تأملنا التوراة ـ بعد تحريفها ـ لوجدنا تقديس المادة قد غلب عليها، فلا تجد في أسفار التوراة ذكر للآخرة، حتّى ما ورد فيها من وعد و وعيد، فإنما هو متعلق بالدنيا فقط وفقا لهذا التصور المادي الدنيوي أغرق اليهود في تقديس المحسوسات، واتخذوا طريقا للرقي، وأصبحت القيم المادية محور الحياة، وقد وصفهم القـرآن الكريم، و بين مدى تعلقهم بالحياة الدنـيا وحرصهم عليها فقال تعالى: { ولتجدنهم أحرص الناس على حياة } البقرة 96."[1]

المنهج الثاني: "ويمثله النصارى، وهو منهج قائم على الروحانيات، و ذلك بإعلائها وتمجيدها وأغرقوا في مفهوم العبادة والرهبنة، فهو منهج الإفراط والغلو، حيث ابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس، تحرم الزواج، وتكبت الغرائز، وترفض كل أشكال الزينة، وطيبات الرزق، وترى لك رجزا من عمل الشيطان"[2]، " وقد بالغوا في العبادة، وأخرجوها عن كيفيتها وعن المراد منها، وأصبحت رهبانية غالية ابتدعوها من أنفسهم بلا حجة ولا برهان، في قوله تعالى: { ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها } الحديد 27، ولذلك كان حال مآلهم :{ هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية } الغاشية 1-4"[3].

"وهذا المنهج يمثل الإفراط والغلو، وهو الوجه الثاني من وجوه الانحراف عن الصراط المستقيم، لذلك أمرنا الله بأن نسأل أن يجنبنا إياه، وذلك ما ذكره في فاتحة الكتاب في قوله تعالى: { ولا الضالين } الفاتحة من الآية 7، وجاء الإسلام ليصحح المسألة، ويهدي الناس

[1] ـ المرجع السابق، ص 117.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 117.
[3] ـ ناصر العقل، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص130.

لأقوم السبل، و أعدل الطرق، طريق الوسط بين عبادة المادة ونسيان حق الروح، وبين إرهاق الروح ونسيان حق البدن، ليعطي كل ذي حق حقه وفقا لقوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله دار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص 77"[1]، فجاء الخطاب القرآني ليقرر هذا المنهج في عدة مواضع منها:

أولا: " الآيات التي تبين انحراف أولئك الذين صرفوا العبادة عن وجهها الصحيح، وذلك مثل قوله تعالى:{ أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون} الزمر 64، وقوله: {وصدها ما كانت تعبد من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا } المائدة من الآية 76، وقوله تعالى: {ومن النَّاس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين)الحج 11"[2] ،قال **ابن كثير** في تفسير هذه الآية :" قال مجاهد وقتادة وغيرهما :(على حرف) على شك، وقال غيرهم :على طرف، ومنه حرف الحبل، أي طرفه، أي : دخل في الدين على طرف، فإن وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر..."[3] .

"فهذه الآيات وأمثالها ترسم منهج الوسطية في العبادة ببيان انحراف طريق هؤلاء الذين قلبوا العبادة على وجهها الصحيح"[4]. فالخطاب القرآني جاء حافلا بمثل هذه الآيات إلَّا أنَّنا اخترنا جزءا يسيرا منها على سبيل المثال والحصر.

ثانيا:" الآيات التي جاءت تأمر بعبادة الله وحده، وتصف عبادته بالاستقامة، وبأن عبادته هي الكلمة السواء، وغير ذلك مما يدل على أن عبادته هي الطريق الوسط السالم من الانحراف والضلال. قال تعالى:{ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألَّا نعبد إلَّا الله ولا نشرك به شيئا } آل عمران من الآية 64، وقال تعالى في أكثر من موضع ففي سورة آل عمران{ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم} آل عمران 51، وفي سورة مريم قال تعالى:{إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم } مريم 36،وفي

[1] ـ المرجع السابق،ص130.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 130.
[3] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص209.
[4] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص131.

سورة الزخرف قال عز وجل:{ إنَّ الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم } الزخرف64.

وقال تعالى: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} الحجر 99، فالآيات التي جاءت تأمر بعبادة الله وحده كثيرة يضيق المقام حصرها.

قال **الطبري** في تفسيره لقوله تعالى : { تعالوا إلى كلمة سواء } "يعني بذلك جل ثناؤه – قل يا محمد لأهل الكتاب – وهم أهل التوراة والإنجيل، تعالوا هلموا إلى كلمة سواء، يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم. والكلمة العدل هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره ونتبرأ من كل معبود سواه. فلا نشرك به شيئا"[1].

وقال **ابن كثير** في الآية نفسها، في قوله :{ سواء بيننا وبينكم } أي: عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها . ثم فسرها بقوله {ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا }. لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ...، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له . هذه دعوة جميع الرسل، { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت }النحل 36"[2].

من خلال هذه التفاسير يتبين لنا أن هذه الآية تنصُّ على **الوسطية في العبادة** ، وهي عبادة الله وحده، وقد سبق ذكرنا أن **الوسطية** تعني **الاستقامة** وقوله تعالى في سورة الفاتحة {اهدنا الصراط المستقيم }الآية 6 ؛ من أقوى الأدلة عل منهج **الوسطية**، كما يقرره القرآن.

ثالثا: "الآيات التي جاءت في بعض أنواع العبادة في معناها الخاص؛ كالصَّلاة والدّعاء وغيرها، حيث نجد فيها أمرا بالتزام منهج الوسط، ونهيا عن الإضاعة أو الرهبنة، وهو ما يمثل الإفراط والتفريط"[3]. وسأذكر فيما يلي بعض الآيات الواردة في ذلك مع بيان دلالة الآية على الوسطية.

[1] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج3، ص301.
[2] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص371.
[3] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص341.

1 ـ" ذمّ الله الإفراط في العبادة والغلو، فيها حيث قال في حق بني إسرائيل من النصارى: {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتيا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون } الحديد من الآية 27" [1].

قال **ابن كثير**:{ورهبانية ابتدعوها } أي؛ ابتدعوها أمة النصارى { ما كتبناها عليهم }، أي؛ ما شرعنا ها لهم، وإنّما هم التزموها من تلقاء أنفسهم، { فما رعوها حق رعايتها }، أي؛ فما قاموا بما التزموه حتى القيام، وهذا ذم لهم من وجهين:

أحدهما: الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

الثاني: في عدم قيامهم بما التزموه، مما زعموا أنّه قربة تقربهم إلى الله عز وجل"[2].

"وكما ذمَّ الله الغلو والرهبنة ؛ فقد ذم التفريط، و التضييع والإهمال، فقال سبحانه وتعالى: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا } مريم 59"[3]، وقال **ابن كثير** مبينا دلالة هذه الآية على الخروج عن منهج الوسطية: " لما ذكر الله تعالى حزب السعداء، وهم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله تاركين لزواجره، و ذكر أنّه: { فخلف من بعدهم خلف } أي: قرون أخرى...{ وأضاعوا الصلاة } ، وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع،لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيّا، أي خسارة يوم القيامة "[4].

وبعد ذكر الآيات التي تدل على النهي عن الغلو والإفراط أو، التفريط والتضييع؛ ذكر بعض الآيات التي تأمر بالتزام الوسط بين الإفراط والتفريط، قال تعالى: { ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا } الإسراء 110"[5]، "نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوارٍ بمكة، { ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها } ، كان صلى الله

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في القرآن الكريم،ص 134.
[2] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص315.
[3] ـ ناصر العمر، الوسطية في القرآن الكريم،ص 134.
[4] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص137.
[5] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص344.

عليه وسلم إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبّوا القرآن، وسبوا من أنزله، ومن جاء به، قال، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {ولا تجهر بصلاتك} أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن: { ولا تخافت بها } عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك { وابتغ بين ذلك سبيلا }"[1]. والشاهد على أن هذه الآية تأمر بالتوسّط بين أمرين منهى عنهما، وهما الجهر الشديد، والمخافتة والإسرار: { وابتغ بين ذلك سبيلا}"[2].وقال تعالى:{ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين } الأعراف 205.

قال **القرطبي: "** { و دون الجهر }، أي اسمع نفسك كما قال: { وابتغ بين ذلك سبيلا }، أي؛ بين الجهر والمخافتة"[3].

وقال **ابن كثير**:"{ تضرعا وخفية }، أي؛ اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبنة، بالقول لا جهرا، ولهذا قال: { ودون الجهر من القول}، وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداء ولا جهرا بليغا "[4].

وقال تعالى: { فاتقوا الله ما استطعتم } التغابن16، قال **ابن كثير**:" أي جهدكم وطاقتكم، وهذه الآية ناسخة للآية يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون } آل عمران 102، لأنه لماّ نزلت هذه الآية اشتدَّ على القوم العمل، وقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا للمسلمين: { فاتقوا الله ما استطعتم } التغابن16، فنسخت الآية المذكورة "[5]. ودلالة **الوسطية** واضحة جلية.

ونقف أمام قول تعالى في سورة المزمل: { يا أيها المزمل قم الليل إلَّا قليلا نصفه أو نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا } المزمل 1- 4، ثم قال في آخر السورة: { إنَّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك

[1] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص68.
[2] - الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص344.
[3] - عبد الله محمد القرطبي، تفسير القرطبي، ج7، ص355.
[4] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص281.
[5] - المرجع نفسه، ج4، ص476.

والله يقدر الليل والنهار علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن } المزمل 20 "[1].

قال **ابن كثير** في تفسيره هذه الآية: { فاقرؤوا ما تيسر من القرآن }أي؛ من غير تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة، كما قال في سورة الإسراء: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها }الإسراء110؛ أي ؛ بقراءتك" [2].

وقال **القرطبي**: قوله تعالى: { فتاب عليكم } قيل: أي؛ فتاب عليكم من فرض القيام إذا عجزتم، وأصل التوبة الرجوع، فالمعنى: رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف، ومن عسر إلى يسر" [3].

من خلال ما سبق اتضح لنا أن: **الوسطية** أصل في باب **العبادة**، في معناها ـ الخاص والعام ـ وأن الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط منفيان عنها كما نفيا عن غيرها، وجاءت الآيات مستفيضة ترسم لنا منهج **الوسطية في العبادة** .

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص139.
[2] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4 ، ص438.
[3] ـ القرطبي، تفسير القرطبي، ج19، ص53.

الوسطية في التشريع والتكليف

تعريف الشرع:

أ- **في اللغة**: "الشّرع: مصدر شرع بالتخفيف، والتَّشريع مصدر شرَّع بالتشديد، والشريعة في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب"[1]. "ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة، وذلك باعتبار أنَّ مورد الماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان،وكذلك الشّأن من الطريقة المستقيمة، التي تهدي الناس إلى الخير، فيها حياة نفوسهم وري عقولهم قال ـ تعالى ـ: {ثمّ جعلناك على شريعة مّن الأمر فاتّبعها} الجاثية 18، ويقال: (شرعت الإبل): إذا وردت شريعة الماء، و(شرع له الأمر)؛ بمعنى سنه وبين طريقته، قال تعالى :{ شرع لكم مّن الدّين ما وصّى به نوحاً } الشورى 13، وقال: { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله} الشورى 21"[2] .

وقال **الفيروزآبادي** في القاموس المحيط :" الشريعة ما شرعه الله لعباده"[3].

ب- أما في الاصطلاح : الشريعة :" ما شرعه الله لعباده، من العقائد و العبادات و الأخلاق و المعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة، لتحقيق سعادتهم في الدنيا و الآخرة"[4]

2 ـ التشريع والتكليف:

سبق لنا أن ذكرنا أن من ملامح الوسطية؛ اليسر ورفع الحرج ، وهذا ما قرره الخطاب القرآني في عديد من المواضع، كقوله تعالى في سورة البقرة {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} البقرة من الآية 185 وقوله تعالى في ـ نفس السورة ـ: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } سورة البقرة 286. وقال تعالى في سورة الحج ـ ولعل هذه الآية أكثر دلالة ـ:{وما جعل عليكم في الدين من حرج} الحج من الآية 78 ، وهذا ما سيتبين معنا فيما سيأتي في الحديث عن تقرير الخطاب القرآني لمنهج **الوسطية** في **التشريع و التكليف**:

[1] ـ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين، ص946.
[2] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص438.
[3] ـ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين، ص946
[4] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص438.

1-"امتن الله على هذه الأمة في الكتاب العزيز بأن وضع عنها الإصر و الأغلال التي كانت على من قبلها، فكان ذلك مظهرا من مظاهر وسطية هذا الدين"[1].

يقول تعالى في وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، في كلامه عز وجل مع قوم موسى عليه الصلاة والسلام:{ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم }الأعراف 158، كما أن من جملة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين:{ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا }البقرة 28"[2].

قال **الطبري** في تفسيره: " الإصر: هو العهد الثقيل الذي في تحمله اشدّ المشقة، والأغلال: هي الشدائد التي كانت في عبادتهم...التشديد الذي شددته على من قبلنا من أهل الكتاب"[3] .

"وفي آيتي البقرة والأعراف إشارة إلى أنَّه ـ عليه السلام ـ قد جاء بالتيسير والسماحة والوسطية، ودلَّت آية الأعراف على أنَّ شريعتنا أسهل الشرائع، وأنه وضع عن أمتنا كل إصر وثقل كان في الأمم الماضية"[4]، إلَّا أنَّ الأدلّة لا تتوقف عند هاتين الآيتين بل هناك مواضيع عديدة من الخطاب القرآني تنصُّ على ذلك.

2- "وردت آيات كثيرة تبين أنَّ: الله لا يكلف نفسا فوق طاقتها، ولا يكلف نفسا إلاَّ وسعها وقدرتها، قال تعالى في سورة البقرة: {لا يكلف الله نفسا إلاَّ وُسعها} البقرة من الآية 286 وقال في موضع آخر:{لا تكلف نفس إلا وسعها} البقرة من الآية 233 .وقال في سورة الأنعام:{وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها} الأنعام 152.

وقال جل ثناؤه في سورة الطلاق: {لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها } الطلاق من الآية 07، وقال جل ثناؤه في سورة الأعراف: {واللذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص117.
[2] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص440.
[3] ـ أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري، ج5، ص85.
[4] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص441.

وسعها} الأعراف من الآية 42، وفي سورة المؤمنون قال تعالى: {ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون} المؤمنون 62.

"وعلى الرغم من أنَّ قوله تعالى:{ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} البقرة 286، ظاهر الدلالة على عدم التكليف إلا، في حدود القدرة والميسرة إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أعقب هذه الجملة بدعاء على لسان عباده المؤمنين، يبين فيه ما امتن به عليهم من عدم المؤاخذة بالخطأ و النسيان،وحط الآصار و الأغلال وعدم التكليف بما لا يطاق وقد انتظم ذلك في ثلاثة أمور:

-الأوّل: قوله تعالى:{ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا } البقرة 286 .

-الثاني:قوله تعالى:{ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} البقرة 286.

-الثالث:قوله تعالى: {ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} البقرة 286" [1].

قال الإمام **الطبري** في تفسيره هذه الآية:"يعني بذلك جل ثناؤه:{لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} البقرة 286، فيتعبدها إلا بما يسعها فلا يضيق عليها ولا يجهدها"[2] فمن خلال هذه الآية وتفسيرها نتبيَّن أنّ الله ـ تعالى ـ كلف وأمر عباده بالتعبد، لكن تبقى هذه العبادة في حدود الوسع والطاقة، فلا تضييق فيه ولا إجهاد وهنا نستشف حقيقة **الوسطية**.

3 ـ "ومما يؤكد ويقرر منهج **الوسطية** في **التشريع والتكليف**؛ الآيات التي وردت في رفع الحرج"[3]، كقوله تعالى: { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج} المائدة 6، وقوله تعالى: هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج} الحج من الآية 78، وقوله تعالى: { وما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له }الأحزاب 37.

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص120.
[2] ـ الطبري، تفسير الطبري، ج3، 154.
[3] ـ الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص444.

ومثل ذلك؛ الآيات التي جاءت تنفي الحرج عن فئة معينة في سورتي النور- الآية 61، والفتح، في قوله تعالى: { ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج } الفتح17"[1]،وفي هذا قال ابن كثير في قوله تعالى: { وما جعل عليكم في الدين من حرج} الحج من الآية 78، أي: ما كلفكم ما لا تطيقون ، وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل لكم فرجا ومخرجا..."[2]

فالله سبحانه وتعالى لم يكلف عباده ما لا يطيقون، وإن شق عليهم جعل لهم فرجا ومخرجا، ولقد كانت الشدائد والعزائم في الأمم، فالله منَّ على هذه الأمة بالمسامحة واللين، ما لم يعط غيرها من الأمم التي سبقتها، فضلا منه ورحمة بها، هذا و إن دلَّ على شيء إنما يدل على **وسطية** هذا الدين في **تشريعه وتكاليفه**، فرفح الحرج واليسر عين **الوسطية**.

4 - " نواصل ذكر الأدلة من القرآن الكريم في باب **التشريع والتكليف**، التي تقرر منهج **الوسطية**، وأنه سمة من هذا الدين، وسر من أسرار عظمته، وهذه الآيات؛ هي آيات التخفيف والتيسير"[3]، في قوله تعالى: { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر }البقرة من الآية 185، وقوله عز وجل في سورة الأعلى:{ ونيسرك لليسرى }الأعلى 8، وقال جل في علاه في سورة الانشراح: { فإنَّ مع العسر يسرا إنَّ مع العسر يسرا } الانشراح5-6، وقوله جل ثناؤه في سورة النساء: { يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا }النساء28. من خلال هته الآيات يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى أراد بهذه الأمة اليسر والتخفيف، ونفي إرادة العسر والمشقة، فهذه الآيات وإن كان بعضها ورد في سياق قضية خاصة، كالآية الأولى التي وردت في شأن الرخصة في الصيام، إلّا أنَّ المراد منها العموم، وكما صرح بذلك غير واحد من المفسرين في الآيات السابقة أن المراد عموم التخفيف في الشريعة وإرادة التيسير و رفع المشقة "[4]، كقول ابن كثير في تفسيره قوله تعالى:{ يريد الله أن يخفف

[1] - المرجع نفسه، ص444.
[2] - ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج3، ص236.
[3] الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص445.
[4] - المرجع نفسه، ص446.

عنكم وخُلِقَ الإنسان ضعيفا } النساء28، أي: في شرائعه، وأوامره، ونواهيه، وما يقدره لكم"[1].

والأدلة كثيرة على **الوسطية**، التي رسمها الخطاب القرآني وأكدها في أكثر من موضع في باب **التشريع والتكليف**، فهو باب واسع .. إلَّا أنّنا اكتفينا بذكر نماذج بسيطة منها، حسبما يقتضيه المقام .

[1] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص479.

الوسطية في الأخلاق والمعاملات

" يقصد **بالأخلاق:** القوى والسجايا النفسية الراسخة، التي يصدر عنها السلوك الإنساني الخارجي، من خلال إرادة حرة، وهي تمثل الصورة الباطنية للإنسان، والأصل في الخلق أن يكون اختياريا، يكتسب بالتخلق والجهد والمثابرة على التزام جانب التسامي، ولذلك، يمدح الإنسان أو يذم، ويثاب عليه أو يعاقب"[1]

أمَّا **المعاملة** فهي: قرينة الأخلاق، حيث إن معاملة المرء نتاج لأخلاقه ولقد رسم القرآن المنهج السوي لما يجب أن يكون عليه أخلاق المسلم ومعاملاته"[2]، المنهج الوسط الذي رسمه لنا القرآن الكريم وسط " بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به، فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا، وهؤلاء أساءوا بها الظن، فعدوها شرًّا خالصا، فكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك و هؤلاء"[3]، فنظرته إلى الإنسان "مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، فيه استعداد للفجور وفيه استعداد للتقوى"[4]، في قوله تعالى:{ إنَّا هديناه السبيل إمَّا شاكرا وإما كفورا} الإنسان3، وقوله تعالى: { ونفس و ما سوَّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكَّاها وقد خاب من دسَّاها } الشمس7 -10، وقوله عز وجل: { وهديناه النجدين } البلد 10، فهما طريق الخير والشر، فعلى الإنسان أن يسير وفق منهج يمنعه من الانحراف والمغالاة، وأن يتصف بالخلق الحسن لأنه وسط في حد ذاته ؛ فضيلة بين رذيلتين: رذيلة الانحراف ورذيلة المغالاة. فالخطاب القرآني قد عني عناية خاصة بالوسطية في الأخلاق و المعاملات فجاءت الآيات جمة تبين ذلك، وفيما يلي سنقف عند بعض الآيات المتعلقة بهذا المظهر من مظاهر **الوسطيـــة.**

[1] ـ عبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص131.
[2] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص171.
[3] ـ يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية ومعالمها، ص23.
[4] ـ عبد العزيز عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، ص131.

ـ ذمّ الله سبحانه وتعالى في خطابه الجليل الكبر والطغيان في كثير من المواضع، لما له من آثار سلبية على الفرد والمجتمع،" والكبر خروج عن المنهج **الوسط** إلى الإفراط والغلو،

وحب الذات والتفريط في حق الآخرين قال تعالى، مبينا أثر الكبر على الإنسان، وكيف أنه يؤدي إلى الحيلولة بينه وبين الإيمان:{ وإنّ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم في صدورهم إلاَّ كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم }غافر56"[1]، قال **ابن كثير** في تفسير هذه الآية:"...أي: ما في صدورهم إلا كبر على إتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به "[2].

وقال تعالى:{ وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب} غافر27، وقال تعالى:{ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار} غافر من الآية 35، وقال:{ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين} الزمر من الآية 60، وقال:{ فلبئس مثوى المتكبرين}النحل من الآية 29، وقال عز وجل: { ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا} الإسراء 37؛ قال ابن كثير في تفسيرها: قال عباس: يقول لا تتكبّر فتحتقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك"[3].والآيات التي جاءت تذم الكبر وتنهى عنه، وكذا تبين عاقبة المتكبرين كثيرة جدا، ليس فقط ذم الكبر بل هناك الكثير من الأخلاق الممقوتة ينهانا عنها الخطاب القرآني، ومن تلك الآيات نذكر ما جاء في قوله تعالى: { واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير} لقمان19.

ونهى الله سبحانه وتعالى، عن كتمان الشهادة لما له من آثار في إضاعة الحقوق وسوء المعاملة بين الناس، فقال جل علاه:{ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه} البقرة من الآية 283.ومن سوء أخلاق بني إسرائيل ما ذكره الله عنهم بقوله: { وإذ قلتم يا موسى لن

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص171.

[2] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص84.

[3] ـ المرجع نفسه، ج3، ص446.

نؤمن لك حتى نرى الله جهرة } البقرة من الآية 55"[1]، قال **السعدي** في تفسيره هذه الآية: "وهذه غاية الجرأة على الله وعلى رسوله"[2] .

ومن الأخلاق الذميمة التي ينهانا عنها الله تعالى في خطابه الجليل نجد " نقض العهد والميثاق، فهو خلق فاسد ومعاملة ممقوتة، ولذلك جاء ذم الله الناكثين العهود الخائنين للمواثيق والعقود"[3]، وقد ذكرنا نماذج من نقض العهود في باب العقيدة ، هذه بعض الأخلاق الذميمة التي ينهانا عنها الله سبحانه وتعالى، أما الأخلاق التي أمرنا بها ـ جل علاه ـ في خطابه، نذكر: "ما أمر به الزوج عندما يطلق زوجته، طلاقا رجعيا، حيث قال:{وإذَا طلقتم النَسَاء فبلغن أجلهن، فامسكوهن بمعروف أو سرحوهم بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه} البقرة من الآية 231، ومثل ذلك الآية التي جاءت في صورة الطلاق : {فَأَمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف} الطلاق من الآية 2 .[4]

ومن حسن الخلق و المعاملة الحسنة؛ الوفاء بالكيل في قوله تعالى {وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم }الإسراء من الآية 35. وقال تعالى في سورة الأعراف : {فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين } الأعراف من الآية 85 . " ولذلك شنع الله على أولئك الذين حادوا على المنهج الوسط في الكيل والميزان فقال {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يستوفون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم } المطففين الآية 1-5 . ومن الخلق التي أمر الله بها ما جاء في سورة المجادلة { يا أيها الذين إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فأفسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا } المجادلة من الآية 11."

[1] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص172.
[2] ـ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص86.
[3] ـ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ص175.
[4] ـ المرجع نفسه ص 175

إن الآيات التي تأمرنا بحسن الخلق والمعاملة هي الأخرى كثيرة وجمة ولو تأملنا سورة الحجرات لوجدناها تزخر بتلك الأخلاق العالية التي أمرنا الله بها، كما ينهانا في مواضع منها على سيء الأخلاق وأرذلها، لكن حسبنا في هذا المقام أن نقف عند الآيات التي ترسم لنا منهج الوسطية .ولعل أكثر الآيات دلالة ما نجده في صورة القصص في قوله تعالى مخبرا عما جرى موسى وشعيب عليهما السلام :{قال إني أريد أن أنكحك إحدى إبنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين} القصص 27، وقال في سورة النساء : {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما } النساء 148.[1]

من خلال ما سبق تبين لنا أن الخطاب القرآني جاء ليدعونا إلى أحسن الأخلاق كما يدعون أن نقتدي بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وقد قال فيه جل علاه : { وإنك لعلى خلق عظيم } القلم 4 .

كما ينهانا عن أرذلها في كثير من المواضع كما سبق لنا ذكرها. فهو بذلك يدعونا إلى السير على منهج الوسط. فحسن الخلق هو الوسطية بعينها.

[1]- المرجع السابق ص 176

رابعا: اليسر و رفع الحرج

- إن أول ما يتبادر إلى ذهن السامع عند نطق كلمة (الوسطية) معنى اليسر والتسيير و رفع الحرج و هو فهم صائب فالتيسير و رفع الحرج من أهم مزايا و فوائد الوسطية و هي: «من أصول التشريع الإسلامي مسايرة الإمكان البشري في جميع الأوامر و النواهي التي يكلف بها الإنسان» [1]فالإسلام دين يسر و سهولة و رفع الحرج عن هذه الأمة المكلفة إذ أن كل فعل من أفعال المكلف له طرفان: طرف الإفراط و التشديد بالكثرة و طرف التفريط و الاستعانة و القلة و الشريعة الإسلامية التي جاءت لسعادة الإنسان في العاجلة و الآجلة وضعت على أساس العدل و الوسط [2]فلا غلو و لا جفاء و لا إفراط و لا تفريط «اليسر و رفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط و التفريط و بين التشدد و التنطع و بين الإهمال و التضييع»[3] ومن هنا تتبين لنا العلاقة بين اليسر و رفع الحرج و الوسطية و التوضيح أكثر يمكن أن تذكر تعريف مبسطا لهما ففي تعريف اليسر يورد ابن منظور في لسانه «اليسر و العسر هو الين و الانقياد و المسيرة السعة و الغنى و تيسير الشيء و استيسر سهل، و اليسر ضد العسر».[4]

و في الاصطلاح يورد الزمخشري في تعريف اليسر و الوسع:«إن الوسع هو ما يسع الإنسان و لا يضيف عليه و لا يحرج فيه فالله لا يكلف النفس الا ما يتسع فيه الموقف و تسيير عليها دون مدى غاية الطاقة و المجهود»[5] أما الحرج في اللغة هو أضيق الضيق و حرج فلان على فلان: «إذا أضيق عليه»[6] و في الاصطلاح كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس و المال حالا و مالا [7] ومن هنا يمكننا استنتاج تعريف رفع الحرج بأنه «إزالة ما يؤدي إلى هذه المشاق الموضحة في التعريف و يتوجه الرفع و الإزالة إلى حقوق الله سبحانه و تعالى لأنها مبنية على المسامحة و يكون ذلك إما بارتفاع الإثم عند الفعل و إما بارتفاع الطلب للفعل و حينما يرتفع كل ذلك ترتفع حالة الضيق التي يعانيها المكلف حينما يستشعر انه يقدم على ما لا يرضي الله و هذا هو الحرج النفسي و الخوف من العقاب الأخروي كما يرتفع الحرج الحسي حينما يكون التكليف تساقا فيأتي العفو من الله سبحانه و تعالى إما بالكف عن الفعل الموقع في الحرج و إما بإباحة الفعل عند الحاجة إليه.[8] ولقد تضافرت الأدلة على هذا الملمح من ملامح الوسطية (اليسر و رفع الحرج) منها ما جاء الخطاب القرآني الجليل في الكتاب و منها ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه و سلم في

---

[1] محمد الصالح الصديق، مقاصد القران، دار الفجر القاهرة ط1، سنة 2004، ص 361.
[2] المرجع نفسه، ص 361.
[3] مذكرة ص 90.
[4] ابن منظور، لسان العرب الجزء 05، كتاب رز باب يسر ص 259.
[5] الزمخشري الكشاف، ج 1 ص 172.
[6] ابن منظور لسان العرب الجزء 2، كتاب جح باب حرج، ص 233.
[7] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 100.
[8] المرجع نفسه ص 105.

السنة و منها ما جاء من آثار الصحابة رضوان الله عليهم و صدق الشاطبي حينما قال:«إن الأدلة على رفع الحرج عن هذه الأمة بلغت مبلغ القطع»[1] و حسبنا أن نقف عند تلك الأدلة التي جاءت بها الخطاب القرآني ذاكرين ما ذج بسيطة منها بغية التدعيم على أن نحصيها في الفصل التطبيقي و فيما يلي نقسمها إلى أقسام ثلاثة أولها التيسير ثم أدلة دفع الحرج ثم أدلة عدم التكلف بغير الوسع و الطاقة.[2]

1-أدلة التيسير و التخفيف: قال تعالى{ويريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر} البقرة 185. و قال تعالى في سورة الأعلى{و نيسرك لليسرى} الأعلى 08 و قال جلا علاه في سورة الشرح{ مع العسر يسرا}الشرح 5-6 و غيرها من الآيات التي تفيد التسيير على هذه الأمة قال في تفسير آية البقرة قال الشعبي: «إذا اختلف عليك أمران فان أيسر هما اقر بهما إلى الحق لهذه الأمة»[3] و قال ابن كثير في تفسير أيه الأعلى «أي نسهل عليك يا محمد أعمال الدنيا و الآخرة و نشرع لك شرعا سهلا سمحا»[4] كما ذكر في تفسير هذه الآيات «إن «إن الله أراد لهذه الأمة اليسر و لم يرد لها العسر»[5].

2- أدلة رفع الحرج: من أقوى الأدلة في الدلالة على رفع الحرج قوله تعالى { و ما جعل عليكم في الدين من حرج}[6] الحج 78 قال ابن كثير في تفسير هذه الآية « ما كلفكم ما لا تطيقون و ما أكرمكم بشيء يستق عليكم الا جعل الله لكم فرجا و مخرجا»[7] و من الأدلة قوله سبحانه و تعالى في سورة النور: {ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج } النور 61، إن هذه الآيات و غيرها فبها دلالة بارزة على رفع الحرج من هذه الأمة كما أن الله سبحانه و تعالى لم يجعل هذا الدين حرج بل جعله يسر عليهم.

3-أدلة عدم التكلف بما يضاد الوسع و الطاقة: أورد الخطاب القرآني الكثير من هذه الآيات نذكر منها على سبيل المثال الحصر قوله سبحانه و تعالى في سورة البقرة:{ لا يكلف الله نفسا الا وسعها} البقرة 28 و قال تعالى في سورة المؤمنون{ و لا نكلف نفسا الا وسعها} المؤمنون و كذا قال تعالى:{ و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف و لا تكلف نفسا الا وسعها} البقرة 233، و الوسع حسب الزمخشري كما ذكر سابقا هو ما يسع الإنسان و لا يضيق عليه و لا يحرج فيه هذه بعض الآيات التي وردت مبينة أن التكليف بحسب

---

[1] بحوث ندوة اثر القران.
[2] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 106.
[3] المرجع نفسه ص 106.
[4] ابن كثير تفسير القران العظيم ج 4 ص 535.
[5] ابن كثير تفسير القران العظيم ج 1 ص 217.
[6] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 108.
[7] ابن كثير تفسير القران العظيم ج1 ص 217.

الوسع و الطاقة و لاشك أن الأحكام الشرعية إذا كانت مطلوبة في حدود الوسع و الاستطاعة دن بلوغ الطاقة فمن هنا يكون الحرج مرفوع كما نبين هنا الآيات ان اليسر سمة هذا الدين و التوسعة على العباد خاصة من خصائصها فهي الوسطية التي لاعنت فيها و لا مشقة.[1] و لهذا يمكننا أن نتوصل الى اليسر و رفع الحرج خاصية تندرج ضمن منهج الوسطية فلا يمكن ان نفهم الوسطية الا إذا توصلنا إلى فهم اليسر و رفع الحرج فبهذا الملمح نحقق الوسطية المطلوبة.

خامسا: الحكمة

- جاءت صفة الحكمة ملمحا من ملامح الوسطية «و بيانها أن التوسط هو توسط معنوي و تحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف تحقيق للمصالح و درءا للمفاسد و هذه الحكمة الشرعية »[2]معنى هذا أن الوسطية أمر نسبي لا يمكن تحقيقها الا بتحديد عدة عوامل يشترط مراعاتها و هذا لا يكون الا بالحكمة التي لا بد منها في التمييز بين تلك العوامل.

- و لو أردنا أن نعرفها لوجدنا أنفسنا أمام معان عدة حيثما جاء تعريفها في القاموس المحيط أنها تستعمل بمعنى العدل و العلم و الحلم و النبوة و القران و الإنجيل و احكم الأمر أتقنه فاستحكم و منعه عن الفساد[3] « و جاء في لسان العرب الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم و يقال لمن يحسن دقائق الصناعات و يتقنها انه حكيم» [4]أما سيد قطب يعرفها في ضلال القران بقوله «الحكمة القصد ة الاعتدال و إدراك العلل و الغايات و البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات و الأعمال».[5]

أما تعريفها في الاصطلاح الشرعي فذكر العلماء مفهومها في القران الكريم و السنة النبوية و اختلفوا على أقوال كثيرة فقيل الحكمة هي النبوة و قيل القران و الفقه به ناسخة و منسوخة ومحكمة و مشابهة و مقدمة م مؤخرة و حلال و حرامه و أمثاله[6] و الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة و مقرونة بالكتاب[7] فالمفردة كقوله تعالى {ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن} النحل 125 و قوله تعالى: {يوتي الحكمة من شاء و من يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} البقرة 269 و هذا النوع كثير في

---

[1] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 108 بتصرف.
[2] الوسطية في ضوء القران ص 92.
[3] القاموس المحيط باب الميم فصل الحاء ص 1415.
[4] ابن منظور لسان العرب باب الميم فصل الحاء ج12 ص 143.
[5] سيد قطب في ضلال القران الجزء 1 ص 332.
[6] الصلابي الوسطية في القران الكريم ص 118.
[7] المرجع نفسه ص 119.

الخطاب ألقراني أما الحكمة المقرونة بالكتاب تعالى{ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم انك أنت العزيز الحكيم} البقرة 129.

و لو أردنا أن نكشف عن العلاقة بين التعريف اللغوي و الشرعي لوجدنا انا فضل التعريفات للحكمة التي بها علاقتها بالوسطية تعريف الشيخ عبد الرحمن الشعري و سيد قطب فقال الشعري في تفسيره الحكمة هي العلوم النافعة و التعارف الصائبة و العقول المسسدة و الألباب الرزينة و إصابة الصواب في الأقوال و الأفعال ثم و جميع الأمور لا تصح الا بالحكمة التي هي وضع الأشياء في مواضعها و تنزيل الأمور منازلها و الأقدام في محل الأقدام و الأحجام [1]في موضع الأحجام أما العلاقة في تعريف سيد قطب فتتجلى في القول الذي أسلفت ذكره إذ قال الحكمة القصد و الاعتدال و إدراك العلل و الغايات و البصيرة المستنيرة التي تهدي للصالح الصائب من الحركات و الأعمال.

فكلاهما في غاية الدلالة على صلة الحكمة بالوسطية فالحكمة من اعتبارها عند تحديد معنى الوسطية بل ان الالتزام بالوسطية و عدم الجنوح إلى الإفراط و التفريط هو عين الحكمة و جوهرها.

سادسا: البينية

- آخر ملامح الوسطية و احد لوازمها و صفاتها البينية التي تدل على وقوع بشيء بين شيئين أو أشياء و قد يكون حسا او معنى عند القول بان الوسطية لا بد ان تتصف بالبينية فالمقصود هنا ليس مجرد البينة الظرفية بل الأمر أعمق من ذلك حيث ان هذه الكلمة تغطي مدلولا عمليا على ان هذا الأمر فيه اعتدال و توازن و بعد عن الغلو و التطرق او الإفراط و التفريط و بهذا تكون البينية صفة مدح لا مجرد ظرف عابر و من أهم التفسير جاءت علاقة البينية بالوسطية و لا غرابة في الربط بين الوسطية و البينية اذ انه المتبادر إلى أذهان عند نطق اللفظية و هذا بتوافق مع التعريف اللغوي كما سبق بيان ذلك في تعريف مادة وسط في اللغة و الاشتقاق.

و نظرا لأهميتها البالغة وقف عندها الكثير من علمائنا قديما و حديثا فهذا البري في تفسيره بقوله انا أرى أن الوسط بمعنى الجزء الذي هو بين طرفين مثل وسط الدار و أرى انه الله تعالى ذكره إنما وصفهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل علو فيه غلو النصارى و لا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود ... و لكنهم أهل توسط و اعتدال فيه فوصفهم الله بذلك ... إذا كان الأمور إلى الله أوسطها و قد ذكر رشيد رضا فس تفسير المنار بقوله أن الوسط هو العدل و الخيار و ذلك إن الزيادة على المطلوب في الآمر إفراط و النقص عنه تفريط و تقصير و كل من الإفراط و التفريط مثل عن الحادة القويمة فهو شر و مذموم فالخيار هو

[1] السعدي تفسير القران الكريم في تفسير الكلام المنان ج1 ص 332

الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما كما ذكر محمد قطب في كتابه منهج التربية الإسلامية إن الوسطية هي التوازن و التوازن هو العدل حيث قال في قوله تعالى:{و كذلك جعلناكم امة وسطا} وسطا في كل شيء متوازنا في كل ما تقومون به من نشاط... و ذكر يوسف القرضاوي في كتابه الخصائص العامة للإسلام و نعني بها أي الوسطية التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين او متفاوتين بحيث لا ينفرد احدهما بالتأثير و بطرد المقابل بحيث لا يأخذ الطرفين أكثر من حقه و يطعن على مقابله و يحيق عليه. اثبت هؤلاء العلماء و غيرهم ممن تحدثوا على الوسطية ان البينية قضية مسلمة و هي أمر أساس في تحديد مفهوم الوسطية اذ لا تعد هذه البينية مجرد الظرفية بل هي أكثر من ذلك فهي تعطي الدلالة على التوازن و الاستقامة و العدل و من ثم الخيرية فهذه هي الوسطية الحقة التي ينص عليها الخطاب القرآني.

خـــــاتـــمـــة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات ... وبعد:

في ختام بحثي هذا أود أن أذكر بأهم ما عالجته من مسائل ومباحث وما خلصت إليه نتائج تتمثل فيما يلي:

- ❖ الخطاب القرآني : خطاب إلهي متفرد عن غيره من الخطابات فهو معجز لما يحمله من خصائص في الألفاظ والأسلوب ولما له من تأثير بالغ في النفوس ...
- ❖ إن لفظة الوسطية كيفما تصرفت نجدها لا تخرج معانيها عن معاني : العدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والوسط بين الطرفين وما تصرف منها يزول إلى معان متقاربة. الوسطية من أبرز خصائص الإسلام وسماته، لذا وصف الله سبحانه وتعالى بها هذه الأمة فكانت خير أمة أخرجت للناس.
- ❖ وردت مادة أوسط في الخطاب القرآني خمس مرات. ذكرت في صورة البقرة لفظتي (وسطا والوسطى)، وفي سورتي المائدة والقلم بلفظة (أوسط) أما الموضع الخامس في سورة العاديات بلفظة (وسطن)، وقد ذكرنا مدلول كل لفظة من خلال أقوال المفسرين والأصوليون وكلام اللغويين توصلنا إلى أن لفظ الوسطية لا يمكن إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتا (الخيرية والبينية) .
- ❖ للوسطية أسس لا بد منها لفهم معناها مطردة مع صفتي الخيرية والبينية تتمثل في الغلو أو الإفراط، الجفاء أو التفريط، وبين هذا وذاك نجد الصراط المستقيم الذي هو ثالث الأسس، وقد فصلنا في كل الأسس وعلاقتها بفهم الوسطية واستخلصنا :
  - كل أمر فيه غلو و إفراط فهو خروج عن الوسطية.
  - وكل أمر اتصف بالتفريط أو الجفاء فإنه يخالف الوسطية .
  - الصراط المستقيم يمثل قمة الوسطية وذروة سنامها وأعلى درجاتها.
- ❖ للوسطية سمات وملامح تميزها عن غيرها من أهمها : (الخيرية، والاستقامة اليسر ورفع الحرج، الحكمة، العدل، البينية)، فوقفت عند كل ملمح من الملامح مبينة علاقته بالوسطية ويمكن أن نلخص ما استخلصناه فيما يلي :

- إن خيرية هذه الأمة تتحقق بأمور أهمها : (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله)
- إن الاستقامة على منهج الله عين الوسطية وجوهرها الأصيل .
- إن سمة اليسر ورفع الحرج قضية دين متكامل إذ لا نستطيع فهم الوسطية إلا إذا فهمنا هذه السمة البارزة في ديننا .
- إن الحكمة، هي وضع الشيء في محله وهي سمة مهمة من سمات الوسطية بل من أهم سماتها .
- العدل إحدى السمات التي تميز الأمة الإسلامية والتي تصلح ضابطا لتحديد الوسطية وملامحها .
- إن صفة البينية أمر مهم في تحديد الوسطية وهذه البينية ليست مجرد الظرفية، وإنما هي التي تعطي الدلالة على التوازن والاستقامة والعدل، ومن ثم الخيرية فهذه هي الوسطية الحقة .
- وقد ذكرت بعض النماذج من الخطاب القرآني التي تدل على كل ملمح .

❖ تتجلى الوسطية في مظاهر كثيرة أوردها الخطاب القرآني، ذكرنا أربعة منها تمثلت في الوسطية في العقيدة، والعبادة والتشريع والتكليف، والأخلاق والمعاملات.

- إن الوسطية في العقيدة؛ أن يؤمن العبد بالله وحده لا شريك له، وجميع الرسل والكتب السماوية والإيمان بالقدر خيره وشره، وقد قرر الخطاب القرآني هذا في مواضع كثيرة، كما جاء ليردّ على الانحرافات، إفراطا كانت أو تفريطا، وفي كل ذلك تقرير لمنهج الوسطية.
- إن الوسطية أصل في باب العبادة في معناها الخاص والعام، أما الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط منفيان، بحيث جاءت الآيات مستفيضة ترسم لنا منهج الوسطية في العبادة .
- جاء الخطاب القرآني في باب التشريع والتكليف، وذلك من خلال الآيات التي تدل على اليسر ورفع الحرج ، كما ينهاها عن الإفراط والتفريط في مواضع كثيرة .

- جاء الخطاب القرآني يدعونا إلى أحسن الأخلاق كما جاء لينهانا عن أرذلها ، ويدعونا في مواضع إلى السير على المنهج الوسط ، وحسن الخلق هو الوسطية بعينها.
- وهناك الكثير من المظاهر التي تجلت فيها الوسطية إلا أنني اخترت أهمها .

وعلى ضوء ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج اقترحت توصيات من شأنها أن تفعيل الوسطية في مجتمعنا :

- ❖ الخطاب القرآني له تأثير كبير على المتلقي فهو يخاطب العقول والقلوب والضمائر، لذلك لا بد من ملازمته وعدم هجره .
- ❖ الوسطية: هي منهج الاعتدال، وحبل النجاة من الفتن وسبيل الإنقاذ مما تعانيه الأمة من مآس ومشكلات .
- ❖ إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله من أوجه الخيرية مما يحقق الوسطية المبتغاة.
- ❖ الإفراط والتفريط، منهجا النصارى واليهود وهما منبوذان في الإسلام ، علينا مخالفة كلا الموقفين بالمنهج الذي يتوسطهما .
- ❖ اليسر ورفع الحرج وعدم تكليف النفس مالا تطيق، من الوسطية فعلى المسلم ألّا يشق على نفسه ما خففه الله عنه وعن الأمة الإسلامية جمعاء بعدم حملها إصرا كما حمله على الأمم السابقة. ولذلك دعوة المسلم دائما { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به}

وخلاصة الخلاصة: يمكن أن أعود إلى نقطة انطلاقي، لأقف عند تلك التساؤلات التي طرحتها في الإشكالية...لأجيب فأقول:

- إن من الألفاظ الدالة على الوسطية في الخطاب القرآني ؛ ما ورد فيه من الألفاظ الصريحة في المواضع الخمسة ـ التي ذكرناها ـ والتي تصب في حقل واحد تمثل في حقل العدل والخيرية والاستقامة واليسر والبينية و غيرها من المعاني التي أفادتها

كلمة الوسطية، وقد تم ذكرها في الخطاب القرآني وهي ما قصدته بالألفاظ الدالة على الوسطية الضمنية، ولكي نتعرف على الوسطية دون العزوف عن معناها الحقيقي لابد لنا أن نتعرف على أسس فهمها والمتمثلة في الإفراط والتفريط لنجد وسطهما الصراط المستقيم الذي يمثل الوسطية، والتي تجلت في مظاهر عدة منها: العقيدة والعبادة والتشريع والتكليف والأخلاق والمعاملات...

ولكن... يبقى السؤال مطروحا لم أتطرق إليه في بحثي والذي قد يكون عنوان بحث آخر، وهو: **هل جاء الخطاب القرآني يدعونا دائما إلى الوسطية ؟ أم هناك وسطية مذمومة الله سبحانه وتعالى في خطابه الجليل عنها ؟؟؟**

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع

1 ـ ابن منظور، محمد أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر،بيروت،ط1، 1992م.

2 ـ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، المجلد الثاني، دار الجبل، بيروت 1420ه/1999م.

3 ـ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006.

4 ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري/ جامع البيان في تأويا القرآم، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420ه/ 1999م.

5 ـالجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، أكتوبر2006م.

6- الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، 1435ه/ 2014م.

7 ـ الجوهري، الصحاح/ تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420ه/ 1999م.

8 ـ الزمخشري، أساس البلاغة، المجلد الأول مكتبة لبنان،ط1 ،1998م.

9 ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة.

10- بشير إبرير، دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014

11 ـ جلال الدين السيوطي، تفسر القرآن الكريم/ تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1426/1425ه، 2006م.

12 ـ جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، مكتبة الصف، ط1، 2004م.

13 ـ محمد علي الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 1428ه، 2007م.

14 ـ مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، دار الخلودية، القبة القديمة، الجزائر، 1432ه/2011م.

15 ـ محمد با كريم، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، الرياض، ط1، 1415ه، 1991م.

16 ـ مالك بن أنس، الموطأ عالم المعرفة, الجزائر، 1433ه/ 2012م.

17 ـ عبد الحميد إبراهيم، مذهب الوسطية، الكتاب الأول، دار طيبة، مصر، القاهرة، 2005م.

18 ـ عبد الرحمن سعود ابداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دار البازوري العلمية، الطبعة العربية، 2014م.

19 ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه/ 2003م.

20 ـ عبد الله محمد القرطبي، تفسير القرطبي، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420ه/2000م.

21 ـ عماد الدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة المدينة،مصر، القاهرة.

22 ـ عبد العزيز، عثمان شيخ محمد، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العدالة الأمنية، تخصص التشريع الجنائي، الإسلامي، الرياض، 2008/1429م.

23ـ ناصر بن سليمان العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1414ه/1993م.

24 ـ خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1426ه/2005م.

25 ـ سيد قطب, في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية الخامسة عشر، 1408ه/ 1988م.

26 ـ يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، مصر، القاهرة، طبعة دار الشروق الأولى، 1421ه/2001م.

27 ـ يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية ومعالمها، دار الشروق، مصر، ط3، 2011.

ثالثا: الخطب

28 ـ الشيخ صالح آل طالب خطبة الجمعة بعنوان الوسطية، المسجد الحرام، مكة المكرمة، بتاريخ13، 06، 1425ه.

29 ـ الشيخ عبد الرحمن السديس، خطبة الجمعة بعنوان تعريف الأنام بوسطية وعدل الإسلام، المسجد الحرام، مكة المكرمة، بتاريخ، 27، 02، 1423.

الفهرس

دعاء

شكر

إهداء

مقدمة.....أ ـ ت

الفصل الأول: الوسطية في أسس فهمها

المبحث الأول:مفهوم الوسطية.....ص22

لغة.....ص22

اصطلاحا.....ص24

المبحث الثاني: الوسطية في استعمال الخطاب القرآني.....ص26

لفظة " وسطا" من سورة البقرة.....ص27

لفظة " الوسطى" من سورة البقرة.....ص30

لفظة" أوسط" من سورتي المائدة والقلم.....ص32

لفظة" وسطن" من سورة العاديات.....ص34

تحرير معنى الوسطية.....ص35

المبحث الثالث: أسس فهم الوسطية.....ص37

الغلو والإفراط.....ص38

الجفاء والتفريط.....ص44

الصراط المستقيم.....ص48

الفصل الثاني: ملامح الوسطية ومظاهرها

المبحث الأول: ملامح الوسطية.....ص50
الخيرية.....ص50
العدل.....ص52
الاستقامة.....ص55
اليسر ورفع الحرج.....ص56
الحكمة.....ص59
البينية.....ص61
المبحث الثاني: مظاهر الوسطية.....ص63
الوسطية في العقيدة.....ص64
الوسطية في العبادة.....ص73
الوسطية في التشريع والتكليف.....ص80
الوسطية في الأخلاق والمعاملات.....ص85
المبحث الثالث: مبحث تطبيقي.....ص90
خاتمة.....ص93
قائمة المصادر والمراجع.....ص98
الفهرس.....ص 101